

# البُعْدُ الْislami



شهرية إسلامية جامعية

العدد العاشر

المجلد الثامن والعشرون

رجب ١٤٠٤

أبريل ١٩٨٤م

تصَرِّفَ رَهَانَدَةُ الْعُلَمَاءِ لِكُلِّ شَوَّالِ (الْهُنْدُ)

# Albaas-el-islami

NADWAT-UL-ULAMA, LUCKNOW.(INDIA)



الطباعة في الهند أحسن وأرخص

أعمال الطباعة والتنضيد الفوتوغرافية على أجهزة الاديب رايت «كومبيوجرافيك» باللغة العربية و الانجليزية ، لأول مرة في الهند .  
يرجى الاتصال بنا من أجل الطبعات الملونة و الطباعة آفسيت للكتب ، و المجالات ، و الصحف ، و الأدوات المكتبة ، المتوعة الأخرى باللغتين العربية و الانجليزية معاً .

ونحن متخصصون ، كذلك ، في طباعة الكتب المدرسية بعدد ضخم و مقدار مطبعي هائل ، مع التأكد من التسليمات العملية العاجلة .  
عنوان الأعمال :



E 75, New Okhla Industrial Complex, Noida,  
Distt. Ghaziabad (U.P.) INDIA

و المكتب الرئيسي :

118 New Rajdhani Enclave  
Wikas Marg, New Delhi  
(INDIA)

## آخرى القارىء :

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

- حرصا على فامي و سارع بدوره في إعداد المخطوطة،  
- كتابة العنوان بالإنجليزية و العربية كل منها في ورقة خاصة ، كل حرف على  
ورقة ، و إرساله إلينا .

٢- إرسال إشراك بالقيمة المبنية أدناه باسم «البعث الإسلامي»، مقابل عام واحد حده، و إرسال إشراك بالقيمة المبنية أدناه باسم «البعث الإسلامي»، مقابل عام واحد أو أكثر:

٤- الاشتراكات السنوية .

٣- يرافق شيك الاشتراك ضمن مظروف مسجل إلى العنوان المذكور أدناه .

أو ~~آخر~~ .

٤- ادوات اتصالات -  
في الهند : ٤٠ روبيه ، ثمن النسخة أربع روبيات .  
في العالم العربي ١٢ دولاراً بالبريد السطحي ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .  
في أوروبا و أفريقيا و أمريكا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحي ، ٤٠ دولاراً  
بالبريد الجوى .

٢٠ دolarاً بالبريد الجوى .  
في باكستان و بنغلاديش و دول شرق آسيا : ١٠ دولارات بالبريد السطحي ،  
بالبريد الجوى .

A L B A A S E L I S L A M I  
N A D W A T U L U L A M A  
P. O. Box No. 93 LUCKNOW (INDIA)

الراسلات:

## البعث الإسلامي

لکھنؤ — الہند

Alhaas - el - Islami

NADWAT-UL-ULAMA

NADWAT-UL  
P. O. Box No. 93

العدد القادم

و دو العدد الأول للجلد التاسع والعشرين سيصدر - باذن الله في غرة رمضان ١٤٠٥ ( يونيو ١٩٨٤ ) فنرجو القراء أن لا يتربّوا بالمجلة في شهر شعبان ١٤٠٤ ( مايو ١٩٨٤ ) " التحرير "

## أخى المسئل

أخي في العقيدة و الدين لافي التراب و الطين ،  
 أخي على درب الایمان و الجهد ، و طريق الشوك  
 القتاد ، أخي في النضال و الكفاح و التضحية  
 و الفداء ، أخي في الحق و الصبر في الوطن و المجر ،  
 أخي في مهبط الوحي و منبع الصبح الصادق في ليل  
 الانسانية الغاسق ، أخي في زهرة الصحراء و درة  
 الخليج ، بين الرياح العاتية والأمواج الثائرة ، أخي في  
 اليأس و الرجاء و الشدة و الرخاء ، أخي في الله !  
 قدم إليك هذه المجلة سلاحاً لك في وجه الباطل ،  
 زاداً لك في طريق الایمان ، عوناً لك على نوائب  
 الحق ، نصراً لك في صراع النور و الظلام و معركة  
 الجاهلية و الاسلام ، فليكن دورك فيها دور مرابط  
 على الثغر ، حارس للأمانة ، أكثر من دور مشترك  
 رسمي في مجلة ، أو زبون في محل تجارة !

[ محمد الحسني - رحمة الله ]

المجلد السادس والعشرون

العدد العاشر

١٤٠٤



الشاعر

فِقِيدُ الدُّعَوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الاستاذ محمد حسين العسيلي

فی عام ١٩٥٥ م ۳۷۵



ركزت على تأسيس المساجد الجديدة و المدارس الابتدائية للذئب الاسلامي واهتمت بدعوة غير المسلمين إلى الاسلام مما كان له اثر ايجابي جميل ، ولكن توزع المسلمين في مثل هذه الجزيرة التي لم يكن فيها ل المسلمين عدد ضخم جداً بين جماعات لم يكن في صالح العمل الاسلامي ، وفيها يخدم الوحدة الاسلامية التي كانت و لا تزال أساس كل نجاح ، وخاصة أساس النجاح في مجال الدعوة و التربية . ولقد تقطن بعض الاذكياء

ولقد نعطن بعض الاذكياء والمتدينين بجمع شمل المسلمين الى أن إقامة رابطة موحدة قوية تولى توحيد صفوفهم وتنسيق جهودهم ، من أهم حاجات الساعة فأسسوا رابطة مسلمي فيجي ( Fiji Muslim League ) على مستوى الدولة العام في عام ١٩٢٦م واتخذوا خطوة إيجابية ببناء لتنظيم المسلمين كافة في هذه الجزر وتنسيق نشاطهم الاسلامي وضم الجماعات كلها في هذه الرابطة التي تعتبر المنظمة المركزية و الممثلة الشرعية لل المسلمين على جميع المستويات .

من هنالك قامت رابطة مسلى فيجي بدور كبير في تأسيس منشآت تعليمية و تربوية لأبناء المسلمين و بناء المساجد و مراكز العمل في المدن و الجزر المهمة كلها ، كما أنها عنيت باقامة مدارس تجتمع بين التعليم الديني والعصرى وتهتم بتعليم لغة مسلى فيجي الى ورثوها أباً عن جد ، وهي اللغة الأردية ، و بتعليم اللغة العربية ، فأول مدرسة من هذا النوع قامت في مدينة «لتوكا» (Lautoaka) التي تعتبر من أهم المدن الفيجية ، في عام ١٩٤٨م ، وفي مدينة «أتوكا» ، تأسست مدرسة إسلامية ثانوية بإشراف هذه الرابطة ، وهكذا أصبحت رابطة مسلى فيجي الممثلة الشرعية لسلى هذه الجزيرة الذين يبلغ عددهم إلى ستين ألف مسلم ، من بين ست مائة ألف نسمة لسكان الجزيرة بكاملهم ، فنسبة المسلمين ، عشر في المائة ، وإن الهندود بما فيهم غير المسلمين غالبية سكان الجزيرة فيشكلون نسبة ٥١٪ . و الفيجيون ٤٤٪ . و البقية من الأجناس الأخرى ، وتوجد ديانات غير الاسلام ، كالنصرانية و الهندوكتة و البوذية ، و للجميع حرية في العمل بالدين الذي يذرون به ونشره .

و من بين هذه الجزر البالغ عددها إلى ٣٣٣ تَحْلِ جزيرتان محل الأهمية

الاسلامية الخاصة .  
وجودهم فيها نعمة من الله عزوجل و ثبتوا على حياة الاعيان و العقيدة متمكين بتعاليم الاسلام من غير رغبة ولا رهبة ، وبالرغم من اشتغالهم بأعمال زراعية مرهقة حاولوا إقامة الشعائر الدينية وبناء المساجد في المناطق والجزر التي وصلوا إليها وبطبيعة الحال قدموا مثلا طيأ لغير الهنود و لأهل هذه الجزيرة و استطاعوا التأثير في المجتمع المحلي حتى اهتدى عدد منهم لا يأس به ، ولا يزال طريق الاسلام مفتوحا أمام الحالات غير الاسلامية ، ويتسع نشاط المسلمين في القيام بشعائر دينهم و تعميق جذور الاعيان في قلوب الجيل المسلم عن طريق إقامة المدارس المحلية وإدخال المواد الدينية في المناهج الرسمية للدرس الابتدائية ، و تأسيس المساجد و الكتاتيب

الاسلامية الخاصة . ولقد تزايد النشاط الاسلامي بعد استقلال «فيجي» ، في عام ١٩٧٠هـ وقيام دولة فدرالية فيها ، ولقد كان المسلمين نشاط سياسي وإسهام في مهام الدولة بطريق الأعضاء المنتخبين في البرلمان الذي يتكون من ٦٢ عضواً غير أن المسلمين إنما كانوا يتمتعون بالوعي الديني والاجتماعي منذ أوائل القرن العشرين فلم يدخلوا وسعاً في بذل ما كانوا يملكونه من إمكانيات ووسائل ضعيفة للابقاء على ميزتهم الاسلامية و تقوية اتهامهم للإسلام رغم المشكلات التي واجهوها في هذا السبيل في بلد لم يكن بلدتهم بالوراثة القديمة وإنما كان بلد الهجرة الاجبارية ، وكان يحكمه الاستعمار البريطاني وهم عائشون تحت هذا الحكم كعمال ليس غير .

و حرصاً على تقوية الكيان الإسلامي في هذه الجزيرة النائية و تمثيل الشخصية  
الإسلامية أقبل المسلمون على إقامة جمعيات إسلامية ينضوي المسئول تحت لوائها  
و يتسلى لهم التمثيل الإسلامي بطريقها ، ففي ١٩١٥ قامت أول جمعية إسلامية باسم  
هدایة الإسلام ، و بعدها بعام جمعية اشاعة الإسلام و في عام ١٩١٩ جمعية حماية  
الإسلام ، و نشأت في أعقابها جمعيات عديدة كلها تهدف إلى جمع كلمة المسلمين في  
هذه الجزيرة وسد حاجاتهم من نشر العقيدة و التربية الإسلامية ، وفعلاً كل جمعية

و الجامعات ، و يكون مقرها مدينة « سوا » عاصمة « فيجي » و يشارك فيها كل من الشباب والكبار عن لهم علاقة بعمل دعوى وإسلامي ، سواء من هذه الجزيرة أو من استراليا ، التي تعتبر أقرب قارة من فيجي ، أو من المناطق المجاورة . و وافق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس العام لرئاسة إدارات البحث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد على وضع برامج الدورة التدريبية و إقامتها في « فيجي » بين الفترة ١٥ فبراير - ١٥ مارس ١٩٨٤ - الموافق ١٣ - جمادي الأولى ١٤٠٤ - جمادي الثانية ١٤٠٤ ، وعيّن سعادة الشيخ عبد العزيز المسند ، رئيس الدورة ، الذي قام بتنظيم الأمور كلها ببراعة و دقة كبيرتين ، و قام بجولة في استراليا و المناطق المجاورة لاختبار الطلاب المشاركين و اختبار مدى صلاحتهم للاستفادة من هذا البرنامج الدعوي والتربوي المهم ، وقام رجال رابطة مسلمي فيجي بالتعاون معه في اختيار الطلبة من هذه الجزيرة لمشاركته في الدورة ، مع تعاونهم الخاص في اختيار مقر صالح لهذا العمل ، وتنظيم الشؤون الإدارية لمدة شهر كامل ، كأن سعادة الشيخ المسند إنما كان موفقاً في اختيار المخاضرين و استدعائهم من مراكز دعوية وعلمية متعددة ، وإن كاتب هذه السطور كان من بين من وقع عليهم الاختيار و خصوا بتوجيه الدعوة إليهم لمشاركته في هذه الدورة الدعوية و العلمية كمحاضرين . و انتهت هذه الدورة - و الحمد لله - بنجاح مرجو ، و عاد المشاركون فيها إلى مقر أعمالهم أكثر وعيأ و اطلاعاً و علماً بأساليب و طرق الدعوة و فيما للإسلام مما كانوا عليه قبل المشاركة ، و قد كانت دلائل البشر ، و الاستفسار من المستقبل بادية على جميع الوجوه ، و رأيت المسؤولين عن شئون الدورة في ارتياح و تفاؤل ، شاكرين الله سبحانه و تعالى على التوفيق الخاص الذي أكرمه به في هذا العمل الذي كان خالصاً لله تعالى دون أن تشوبه شائبة من النفس ، بل الواقع أن دافع الأخلاص و خدمة الدعوة و العلم كان يغطي جميع نشاطاتهم و أعمالهم ، فعاشوا شهراً كاملاً في اهتمام كبير بالدين و ببلاغ الرسالة و تعليم الكتاب و السنة

الكبرى أولاهما « فيني ليفو » (Vitilevu) المتعددة على مساحة ١٠ ألف كيلو مربع وفيها مدينة (صوا Suva) عاصمة فيجي ، ومدينة لوكه (Lautoka) و (نادي Nadi) حيث المطار الدولي لهذه الدولة ، و الأخرى جزيرة ( فانوا ليفو Vanuilevu ) و مساحتها خمسة آلاف و ثلاثة كيلو مربع ، ومن أهم مدنها ( لمباسا Lambasa ) . نظراً لأهمية موقع هذا البلد « فيجي » و حاجة أهلها الأكيدة إلى دعوة الإسلام كان لزاماً على الدول المعنية بالدعوة الإسلامية و في مقدمتها المملكة العربية السعودية التي أكرمتها الله تعالى بحراسة الحرمين وتبني الدعوة إلى الله تعالى وتطبيق الشريعة أن تتجه إلى هذه المنطقة النائية و تستعرض فيها وضع الإسلام و المسلمين حتى يتسعى تنظيم برامج العمل فيها في ضوء الحقائق و الأرقام ، و قد ألقى الله تعالى في روع علامه الملك الكبير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله تعالى أن يتولى مهمة تفقد الوضع الإسلامي في هذا البلد ، فقام بيفاد المبعوثين من رئاسة إدارات البحث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد كدعاة و معلمين إلى فيجي و هم الذين كانوا نقطة اتصال بينه وبين هذه المنطقة ، و أحس سماحته بحاجة إلى تنظيم و توعية العمل الإسلامي في المنطقة فأرسل المسؤولين عن الدعوة الإسلامية في رئاسته إلى هذه المنطقة البعيدة حتى يزوروها عن كثب و يطلعوا على الوضع الصحيح للإسلام و المسلمين فيها و يرفعوا إليه تقريراً عن ذلك .

وقد كان في مقدمة من أهم بهذه المنطقة وتناولها بمسح شامل مع دراسة الوضع الإسلامي فيها بعمق وبصيرة سعادة الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن المسند المستشار بوزارة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية ، ورافقه سعادة الشيخ محمد بن إبراهيم القعود مدير عام إدارة الدعوة في الخارج برئاسة إدارات البحث العلمية و الافتاء و الدعوة والارشاد بالرياض ، و قد توصلوا بعد لقاءات و دراسات للأوضاع فيها إلى أن هذه المنطقة بحاجة إلى إقامة دورة تدريبية للدعوة الإسلامية لمدة شهر على أقل تقدير يدعى إليها العاملون في مجال الدعوة إلى الله في المدارس و المساجد

# التوجيه الإسلامي

★ واقع العالم الإسلامي  
★ العلاقة بين الدين والدولة

( و من أحسن قوله من دعا إلى الله و عمل صالحاً و قال إني من المسلمين ) .  
إن هذه المنطقة النائية التي تتمتع بأهمية كبيرة من حيث موقعها الجغرافي  
أحق بالاهتمام الخاص من أهل العلم والدعوة حتى تعود إلى وضعها الإسلامي الأصيل  
و تنفس في جو من سماحة الإسلام و يعيش أهلها في مهاج الحياة الذي تجود به  
شريعة الله تعالى للإنسان في كل زمان و مكان ، و الذي يتکفل بالسعادة و المنهاء  
لكل من يتبغه وينفذه في الحياة .

و إن الجانب الخاص الذي لا حظته في هذه الجزيرة باختلاط أهلها  
و دراسة وضعها الديني هو جانب التعليم الديني الذي لا يزال بامس حاجة إلى  
اهتمام كبير من المعنيين بقضايا الإسلام و المسلمين في الدول الإسلامية ،  
ذلك أن نقص هذا الجانب يورث جهلاً بالدين الصحيح ، فيقع كثير من الجاهير  
المسلمة في أمور لاعلاقة لها بالدين الحالص ، ظانين أنها من الدين ، و لكن التعليم  
الديني هو الذي يوفر عليهم الفهم الصحيح للدين ، و معرفة الأولويات و الفرائض  
و السنن و المستحبات والتبييز بين البدع والضلالات ، والإيمان و الأعمال الصالحة ،  
و بتغيير آخر التبييز بين الإيجابيات و السلبيات .

و نرجو الله سبحانه و تعالى أن يوفق أهل هذا البلد للانتفاع بهذه الدورة  
التدريبية في مجال الدعوة إلى الله ، ويهدى لهم الطريق نحو وضع برامج دعوية وتعلمية  
للمسلمين و أبنائهم حتى يعم فهم الإسلام الصحيح بينهم ، و تقوم هذه المنطقة الحساسة  
بموقعها الجغرافي بدورها المتوقع في إرسال أشعة الإسلام إلى الشرق و الغرب معاً ،  
و تصبح منارة نور للقارتين الغربية و الشرقية كلها و مركزاً للإسلام كبيراً ، يتعانق  
فيه الشرق و الغرب على صعيد الدعوة الإسلامية و كلمة الإسلام ، « و يومئذ يفرح  
المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء ، و هو العزيز الرحيم » .

و صدق الله العظيم ۝ .

سعيد الأعظمي

حكومات ، و أوسع مساحة جغرافية و أعظم أهمية سياسية ، و أغنى في العلاقات و الامكانيات ، و أملك للوريد في الجسم الصناعي ، لم يكن العالم الاسلامي - في حد دراستي - و قد درست تاريخ الاسلام سياسياً و فكرياً، و علمياً، و روحاً، في إطار واسع ، و أستطيع أن أقول في ضوء دراستي ، لاتى ما وجدت العالم الاسلامي في هذا التاريخ الضخم الكبير الحجم ، الواسع مساحة زمنية ، لم أجده العالم الاسلامي في فترة من فترات التاريخ أغنى و قوى ، و أوسع منه في هذا الزمان ، و لكنني أقول لكم ، و الحزن يملأ قلبي ، و الخجل يعتقل لسانى : إن العالم الاسلامي مع هذا الحول و الطول و مع هذا العدد الكبير من الحكومات ، لم يكن أهون ، و لا أذل ، و لا أضعف ، و لا أخف في الميزان السياسي الدولي منه في هذا الزمان ، و هذا تناقض تحار فيه الآلاب .

إن العالم الإسلامي في الحقيقة كان قد ضعف في روحه المعنوية وفي شخصيته وتميزاته من زمان ، ولكن كان له اسم كبير ، وكانت له مهابة وسطوة ، كانت هنالك الدولة العثمانية - على علامها وعنهما - كالسور المنيع للشرق الغربي ، لا يخترى كثير من الحكومات وشعوب الحاقدة ، أن تتصور هذا السور ، ويدين المقدسات الإسلامية وبلاد التي كانت تحت حماية الدولة العثمانية ، وقد كان شرف العالم الإسلامي وكرامته منوطه بفذ الجزء المقدس الحبيب إلى المسلمين في العالم ، وكان للدولة العثمانية الاسم الكبير الحافل بالآمجاد والبطولات ، فكان يصرف الناس عن الامتحان لقوته الحقيقة ، و كان هنالك نظار ، (١)

(١) النظار الخيال المنصوب بين الزرع ، و الناطور حافظ الكرم أو الزرع ،

و الكلمة سريانية .

## واقع العالم الإسلامي

# سماحة الشيخ العلامة أبو الحسن علي الحسني الندي

[ حديث ألقى في جمعية الاصلاح الاجتماعي بال الكويت أمام جمع  
كيف صافت به جنبات الصالة على سعتها ، وذلك مساء يوم السبت  
٢٢ من صفر ١٤٠٤ ( ٢٦ من نوفمبر ١٩٨٣ ) ]

بعد الحد و الصلاة !

سادنى و إخوانى ، إن أتحدث إليكم في هذا اللقاء الكريم عن « واقع العالم  
الاسلامى » ، اليوم ، وفي الحقيقة أتحدث إليكم عن واقعنا جمعياً ، فهو مسئولية مشتركة  
وأمانة جماعية ، وكنت أتمنى أن أتحدث عن واقع مشرق جميل زاهر ، يسر المؤمنين  
ويسر أصحاب الواقع ، ويسر المتحدث ، وإنى بدورى أستطيع أن أصور العالم  
الاسلامى تصويراً رائعاً جيلاً ، فان اللسان يستطيع أن يعطي واقعاً حالكما كثيراً  
صورة جميلة مشرقة ، و القلم أقدر من اللسان على ذلك ، و لكن سيكون واقعاً  
خيالاً أسطورياً ، لاصلة له بالحقيقة و الواقع ، فسأكون أميناً و صريحاً في تصوير  
هذا الواقع ، وإن لم أسر المستمعين الكرام ، ولم أدخل على نفسي السرور  
فالله لا يكذب أهله .

إخواني ! التناقض في حياة فرد عادى ، لغزة تحتاج إلى حل و فك و إلى ذكاء ، فكيف إذا كان التناقض في مجتمع كبير ، و كيف إذا كان في عالم واسع الأرجاء . كبير الأهمية ، مجيد التاريخ ، و التناقض الغريب الذي أريد أن أحده عنه في هذه الأمسية ، هو أن العالم الإسلامي لم يكن في زمن من الأزمان أكثر

تلدغ ، و الكلب يخشي لانه يستطيع أن يعض ، ولو حيل ينه و بين ذلك سين و أعوااما ، و كان كلبا مدللا أليفا ، فلا بد من التوازن الصحيح و هو وجود صلاحية النفع ، و وجود صلاحية الضرر في وقت واحد .

فكان لا بد أن يملك المسلمين بصفة أمم ، و يملك الفرد المسلم بصفة فرد ، القدرة على النفع والضرر وإن لم يضر - كما قلت - لشرفه ، و لسماحته ، و إنسانيته الرفيعة ، و سمو رسالته ، ولو لم يأت منه الضرر والأذى قرروا عديدة ، لا بأس ، و لكن ليعرف الزمان أنه يمكن يرهب فيه ، و يخشي بأسه ، يقول الله تبارك و تعالى وهو رب العالمين ، وأحكم الحاكمين ، و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوك و آخرين من دونهم لا تعلوهم الله يعلمهم ، (١) .

فأصبح المسلمون في الزمن الأخير ، يرجون و لا يخشون ، و ينفعون و لا يضرون ، و هذا وإن كان موقفا شريفا في علم الأخلاق و النفس ، وفي العمل النظري و الفلسفات النظرية الحالية ، وإن كان يدل على شرف الرجل وعلى فضله ، وعلى نبله ، و على تمسك بالمبادئ السامية ، ولكن الفطرة البشرية منذ أن فطرها الله تعالى تعودت أن تخضع للقوة ، ولما عند الفرد أو الجماعة من قدرة الاضرار و الدفع عن نفسه و أخذ الثار لها ، يقول الدكتور العلامة محمد إقبال :

«إن الوردة الجميلة لاسلامها لها ولا صيانة ، إذا كان الشوك الذي خلق لجوطها ويصونها من الأيدي العاتية قد انحرف عن فطرته و أصبح حريراً ناعماً ، إذن فلا يقام للوردة و لا حرمة لها » و اسمحوا لي أن أشد البيتين باللغة الأردية ، لأنـ

(١) سورة الأطفال : آية ٦٠ .

أو بحدار (١) على التعبير العربي القديم ، و هو العود الذى ينصبه الفلاح في مزرعته ، و يلقى عليه شيئا من الثياب ، فيتصور الغربان والطيور أن هناك إنساناً واقعاً ، فلا تتجاسر أن تقع في هذه المزرعة و تسبب فيه ضرراً ، فإذا سقط هذا الطمار أو الجدار بريع عاصفة مثلاً ، أو عاثت فيه بعض الحيوانات الجريئة فأسقطته ، هناك تعرف الطيور أنه ليس هناك ما يخاف فتساقط عليها وتتلقها ، فكانت الدولة العثمانية ، و كان الاسم الكبير الذى تحمله . و كانت الانطباعات التي كان يحملها الدارسون للتاريخ الإسلامي ، والتصور الكبير الضخم الذى كان أكثر من الحقيقة يمنع كثيراً من الشعوب التي كانت أقوى من الدولة العثمانية ، و كان في إمكانها أن تسيطر على بعض الممتلكات العثمانية ، و محاباتها بسهولة من أن تجرؤ الوقوع في هذه الجني ، فلما سقط هذا الطمار أو الجدار ، أصبحت الجني مفتوحة لا حارس لها .

هذا مثل للعالم الإسلامي إذا قسنا العالم الإسلامي بمقاييس الروح الإسلامية ، و بمقاييس القوة الإيمانية ، و القوة الحرية الحقيقة . فقد كان قد تختلف فيها تخلفاً كبيراً منذ أمد بعيد ، و لكن كانت له رهبة ، و سطوة .

إن الحقيقة العالمية الحالية أيا السادة ! أن الفرد لا يحترم إلا إذا كان يخشي و يرجي ، و الجماعة لا تحترم إلا إذا كانت تخشى و ترجي ، و تنفع وتضر . وكذلك الحكومات و المجتمعات ، لا يحسب لها حساب إلا إذا كانت تخشى . و ترجي ، و تضر ، تستطيع أن تضر و لو لم تفعل ذلك - بارادة و قصد - مدة طويلة ، و لكن يجب أن يعرف الناس أنها تملك قوة النفع و الضرر و إن لم تستعملها ، إن الفرد ولو كان حقيراً تافهاً كالنملة قد تخشى لأنها تستطيع أن تقرص ، و العقرب تخشى لأنها تستطيع أن تلسع ، و الجنة تخشى لأنها تستطيع أن

(١) ما ينصب في الزرع لطرد الطير و الباحش ، و يقال له الفزاعة أيضاً .



هؤلاء الساسة ، و القادة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، خوف من العالم الإسلامي في الحقيقة .

ثم زاد الطين بلة ، هو أنه قد عرف العالم الغربي أن هذه الحكومات التي كان يمكن أن تخشاها مشغولة بشعوبها ، مشغولة بالصحوة الدينية التي ظهرت في هذه البلاد ، إنها في شغل شاغل ، إن همها الوحيد أن تقضي على البقية الباقة من الجرائم الإيمانية في هذه الشعوب ، فهي لا تجد فرصة ، ولا تجد مجالا لأن تبرز في الميدان الحقيقي ، و تتحدى القوة الأجنبية المخالبة للإسلام ، كالصهيونية أو الصليبية الحاقدة ، أو أن تهض للانتصار لقضية إسلامية من قضايا الشعوب الإسلامية المنضدية .

و من المؤسف أن قادة البلاد الأجنبية يعرفون هذه الحقيقة و هذا الوضع ، أحسن ، و أكثر مما يعرفه كثير من إخواننا الذين يعيشون هذا الواقع ، و عندهم تفاصيل دقيقة ، و دراسات عميقة لواقع العالم الإسلامي اليوم ، هم يعرفون أن الجرائم الإيمانية التي كانت تخشى في الزمن القديم وهو الاسمانة بالحياة والختن إلى الشهادة ، قد انطفأت في صدور المسلمين أو كادت تنطفئ ، وكان هؤلاء القادة الأجانب يعرفون أن المسلمين يندفعون لهناف الإيمان ؟ ولا يفهمون إلا لغة القرآن و الدين ، وإنهم لا يندفعون إلا لما فيه أجر الآخرة ، ولما فيه رضا الله تبارك و تعالى ، إن عدداً من الأقطار الإسلامية كسبت المعركة مع العدو و تغلبت عليه بفضل الهناف بالشهادة في سبيل الله ، و الهناف بالجهاد في سبيل الله ، و لكن لما انتهى هذا الدور ، و خرجت من المعركة ، فأول ما تحاول و تصرف جهودها إليه هو القضاء على هذه الجرائم الإيمانية ، إلى الآن لا تزال الصلة الأقوى التي تربط المسلمين بصدر القوة التي تأثر بالمعجزات ، هي الصلة بالله تبارك و تعالى ، و رسوله ، و لا تزال روانج الجنة تفوح منها حاول السياسيون ، ولكن لا تزال الجرائم الإيمانية كامنة في الرماد ،

أرى هنا عدداً من إخواننا الباكستانيين و الهنديين ليتذوقوا الآيات في لغتها ، يقول محمد إقبال :

نسم صح کی روشن ضمیری  
تین خار گل سے آشکارا  
اگر کائیں میں ہو خون ہے حریری  
حفاظت پھول کی عکن نہیں ہے  
یقول : إن نسم الصباح يعرف طابع الأشياء ، فيربى الوردة على طبيعته الخاصة و هي النعومة و الرقة ، و ينشئ الشوك على طبيعة أخرى منافية وهي الشدة و العنف ، و هذا يدل على فراسة النسم العليل البليل الذى يهب صباحاً ، يدل على وفاته بالرسالة التي نيطت بها و وضع الشتى في محله ، فإذا أصبح الشوك الذى يحيط ويصور الوردة الناعمة ، الوادعة البريئة ، حريراً ناعماً ، فلا بقاء للوردة ولا سلامه لها ، فكذلك لا بد للعالم الإسلامي الشريف النيل صاحب الرسالة السامية ، والمبادئ ، السماوية ، و التعاليم الربانية ، حامل الرحمة الإنسانية ، وصاحب قلب خفاف ، يذوب للإنسانية الضعيفة و يسل رقة و رحمة ، كان واجباً أن يكون هذا العالم الإسلامي يملك ما يرهب و ما يخشي ، يملك السياج المنيع ، والسور العالى ، و الجندي الجاهز ، ولكن أصبح العالم الإسلامي اليوم تروجه كل المعسكرات الآن ، المعسكرات على تقاضها في المبادىء ، و على ما ينتمى من منافسة و محاربة ، تلتقي على الانتفاع بالعالم الإسلامي و حلب درجه و امتصاص دمه ، كلها تنظر إلى العالم الإسلامي كادة ثرية ، ولكن ليس معسكراً من المعسكرات الآن ، وليس حكومة من الحكومات الكبيرة التي تحكم الآن في مصاير الأمم ، و في المسيرة الإنسانية ، تخشى العالم الإسلامي فتحترمه ، إنما نسمع كلمات الاعتراف لبعض الحكومات الإسلامية والعربية ، وكلمات الاحترام في أحيان أخرى ، و لكنها كلها سياسة و تفاق ، ليس في قلب أحد من

و تراحمهم ، و تعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسرير والجنب (١) .

يقول الله تعالى :

« وإن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » هل نحن أمة واحدة ، يقول بعض المستشرقين : انهزم الاسلام مرات عديدة سياسياً و هزم روحياً و حين انهزم سياسياً هزم الفاتح المسخر المدمر روحياً .

يجب أن تحمد هذه المعركة الدامية الخامسة ، هذه المعركة غير الطبيعية ، هذه المعركة الصناعية التي استفزت جهود القادة والساسة ، و ولادة الأمور ، والمفكرين في بلادنا الاسلامية ، يجب أن تحمد وتنتهي هذه المعركة غير الحقيقة التي هي حامية بين الشعوب والجماهير والحكومة ، فالحكومات تتجه اتجاه آخر ، و الشعوب تتجه الاتجاه القديم الاسلامي إلى الآن ، فلا الحكومات نجحت في جر هذه الشعوب و الجماهير المسلمة ، إلى الابتعاد عن جادة الاسلام ، ولا الجماهير نجحت في إيقاع هؤلاء الحكام والملوك في استخدام الطاقة الذرية الهاطلة التي هي كامنة في نفوس الجماهير المسلمة ، وهي ، قوة الایمان التي هي أقوى من الطاقة الذرية ، فإذا من الحكم و من العقول و النصيحة ، و من التوجيه الرشيد السديد أن تنتهي هذه المعركة المصطنعة التي تخدم هذا الصراع النفسي ، والصراع العملي الذي يخدم بين من يملك الزمام ، سواء من يملك زمام التربية ، أو زمام السياسة ، أو زمام القيادة - والذين شأوا في أحضان الثقافة الاوربية ، و بين الشعوب المسلمة الوادعة الخلقة البربرية الصادقة ، القوية ، الوافية ، الراكيحة الركبة ، البقية النقية ، أليس من الخير ،

(١) حدث متافق عليه .

ولكن أكثر قادة البلاد عادوا ، لا يربطهم رباط بهذه اللغة اليمانية والجنبية الاسلامية ، وقد ضعفت الصلة بينهم وبين مصادر الایمان أنه جيل قد نشأ في أحضان الحضارة الاوربية ، و كليات التربية العسكرية في عواصم أوروبا ، وأساتذتهم و مربوهم يعرفون أنه قد أفلت الزمام من أيديهم ، و انقطع الخيط الذي كان يربطهم بالمجموعة الاسلامية ، وبالجماهير المسلمة ، واستبدلوا به خططاً سياسياً ، و الاوربيون يعرفون ، أن هذا الخيط إذا نفع و أفاد في بلد ، فإنه لا ينفع في بلد إسلامي ، منهم من درس القرآن ، و منهم من درس تاريخ عصر الصحابة ، و منهم من درس تاريخ صلاح الدين الايوبي ، و تاريخ الغزوات الاسلامية ، و تاريخ الدعوة إلى الاسلام ، فهم يعرفون أن الخيط الذي يربط قادة البلاد بالجماهير المسلمة ، ليس فيه قوة أبداً ، إنه ينقطع سريعاً ، إن هذه الجماهير على ما أصابها من الوهن وعلى ما أصابها من أدواه و علل ، وعلى ما أصابها من تدهور ، لا تزال تتدفق للهتاف الديني والايمناني في كل مكان .

لقد أصبحت الأمة الاسلامية الآن هدف المآسى والمهازل في وقت واحد . لماذا ؟ لأننا هازلون ، و هزيلون ، العالم الاسلامي أصبح هزيلاً و هاذا ، لا جد فيه ، تزور العالم الاسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، من الشرق إلى الغرب ، تجدون هناك فيضاً من ملاهي ، و ملاعب ، هل هناك تناسب ، تناسب بين ما نعيشه ونمط الحياة الذي نعيشه في هذه المدن الآمنة المطمئنة ، و بين ما يقع في الجزء الآخر في العالم الاسلامي هل إذا زار أحد من الزوار من الخارج ورأى هذه المدن ، هل يستطيع أن يفهم أن هذا جزء من الجسم الاسلامي الذي تقطع أجزاؤه في نهاية أخرى ، هل هذه الأمة هي نفس الأمة التي أصبحت هدفاً في لبنان وفي أفغانستان ، هل هم كلهم أعضاء الأسرة ، و الرسول ﷺ يقول « مثل المسلمين في توادهم ،

هذا هو واقع العالم الإسلامي الذي شاركك جميعاً ، ولو كنت منفرداً و في  
 عزلة عن هذا الواقع لما اجرأتك أن أقول هذا ، ولكنني أشارككم كمّي مسلم  
 و كمّي و نصيبي ليس أقل من نصيبيكم ، فيسوغ لي أن أتكلم بهذه الصراحة ،  
 لأنّي لا أشهد على أنفسكم . و لا على هذه المنطقة و لا على البلاد العربية تحسب ،  
 بل أشهد على نفسي ، وعلى إخوانى ، وعلى من أذاملهم وأشاركتهم ، واتعاون معهم .  
 هذا واقع العالم الإسلامي يجب أن يتغير . وفي صالح الإنسانية أن يتغير ،  
 وفي صالح مصير الإنسانية أن يتغير ، وإرادة الله أن يتغير هذا الواقع ، ويرجع  
 العالم الإسلامي إلى ما كان عليه في قرون مشهود لها بالخير ، في زمن عظمة الإسلام  
 و مجده ، و لا خير . و لا لذة في الحياة ما دام العالم الإسلامي هكذا ، لا لذة  
 للذى ، و لا عزة لمعنٰز ، و لا قوة لقوى ، إذا كان العالم الإسلامي بهذه الصفة .  
 هذه كلمتى و أنا أشعر بأنّها قاسية ، و لكنّها صريحة ، وصادقة إن شاء الله ،  
 و أرجو من الله أن يكول لها صدى في نفوسنا ، و يكون لها مفعول في نظام  
 تفكيرنا ، و الله الموفق و المعين .



أليس من المعقول أن تصرف كل الجهد ، و الطاقات إلى استخدام هذه القوة  
 التي لا يزال المسلمون يملكونها ، قوة الإيمان ، و قوة الفداء ، و الوفاء للإسلام ،  
 و بذل النفس و النفيس لله تبارك و تعالى .

ثم لا بد أن تنهض هؤلاء الربانيون الذين ذكرنا بعض المذاج من سيرتهم  
 و من دعوتهم للإسلام ، في كتابنا « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » و « ربانية  
 لا رهابية » ، فإن الربانيين الصادقين ، الراسخين في العلم المتبعين للسنة ، فيهم وحدم  
 قدرة على تزييف النفوس على الإيمان و الإسلام ، و الحلق المستقيم ، و الترد على  
 المادة و على الشهوات ، و التغلب على المغريات المعاصرة ، كان ما زال في العالم  
 الإسلامي هذا الغط من الربانيين ، ما خلا منهم حسر ، ولكن اجتمعت عدة أسباب ،  
 و عدة أدوات لمحاربة هذه الربانية الصادفة ، فأقول كما قال الحطيئة :

أقولوا عليم لا أبا لأيمك من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا  
 لمنلا فراغ الربانية المشرقة الصادقة المؤسسة على الكتاب و السنة و على الزهد  
 في حطام الدنيا ، و الانصراف إلى الآخرة ، و الاستغلال بذكر الله تبارك و تعالى ،  
 و استحضار الآخرة ، حتى نستطيع أن نجر هذه الجموع الكبيرة إلى بر السلام ،  
 إلى حقيقة الإسلام ، و إلى ماضى هذه الأمة .

أما بغير ذلك ، فإن العالم الإسلامي ، إنما أخرج أن أقول ، و لاكتفى أقول ،  
 لأنّه قد قال قبل مفكر كبير وهو أكبر الكتاب في عصر أمير البيان الأمير شبيب  
 أرسلان يقول : « كاد أن يكون العالم الإسلامي بحرآ كبر العروض ، بحر ولا ماء » ،  
 بحر العروض لا ماء فيه ، أصبح العالم الإسلامي لا يحمل قرة ترحب ، و لا يحمل  
 القوات التي هي تمنع عن هذه المأسى .



كان سيدنا محمد ﷺ آخر نبي أرسل بهذا الدين ، وهو أول أمير و حاكم لهذه الدولة الربانية ، فرنى إطاعته باطاعة الله ، قال الله تعالى : « ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » ، و بعد وفاته ﷺ قام من أصحابه الخلفاء الراشدون المدحون الذين جعلوا بين الدين و الدنيا ، و الامارة والحكم ، و الامامة والاجتهد و القيادة الدينية ، و قررت إطاعتهم إطاعة الله و رسوله ، قال رسول الله ﷺ : « من أطاع أميري فقد أطاعني و من عصى أميري فقد عصاني (١) .

هذا الجمع بين الدين و الدنيا هو أنسى ما يهدف إليه الاسلام ، فكل شأن من شؤون الدولة يمارسه الحكام طبقاً للأحكام الاليمه وابتغاء لوجه الله تعالى يعتبر من الدين و العبادة حتى إن سياسة الأمراء لرعاياهم و اهتمامهم بأمورها ، وإطاعة الرعايا لأمرائها كذلك داخلة في طاعة الله عز وجل .

فالحاصل أن الاسلام لا يقر بأى تفريق بين الدين و الدولة ، إن الامام في إمامته و الخليفة في خلافته ، و الرايعي في رعيته ، و الوالي في ولايته ، و الأمير في إمارته ، و الحاكم في حكومته . و القاضي في قضائه ، و الجندي في ميدان القتال و المجاهد في سبيل الله ، كل أولئك إذا أطاعوا الله وأخلصوا نياتهم تعتبر مناولتهم لمسئوليائهم من الدين و العبادة ، و لئن أهمل هؤلاء واجباتهم وأحجموا عما عليهم من المسؤوليات نحو الأمة و جلأوا إلى زاوية من زوايا البيت أو المسجد كانوا مقصرين ، فان الاسلام دين وسط لا رهبانية فيه ، يهتم بشؤون الدنيا كما يهتم بشؤون الدين .

اذكر هنا على سبيل المثال قصة داود عليه السلام و المستغيثين الذين نسروا  
 (١) صحيح البخاري كتاب الاحكام ج ٢ ص ١٠٥ ، و الصحيح لسلم كتاب  
 الامارة ج ٢ ص ٢٣٣ ) .

## العلاقة بين الدين و الدولة

العلامة الدكتور السيد سليمان الندوى

توريق : الاخ شاراحد الاعظمى

يوجد في العالم اليوم نوعان من الدولة :

١- النوع الأول منها ملا علاقه له بالدين أصلاً ، و هي تقوم على مبدأ ما ليضرر وما لله لله ، وإن هذا المبدأ يقيم الله و يضرر في صفوف متوازيين لا ينطبق حكم واحد منها على الآخر ، و قد تأسست دول الغرب الحاضرة على هذا الأساس ، ففصلت الدين عن الدنيا و رسمت لكل واحد منها حدوداً تخصه ،

وقد أنتج ذلك أن الدول تجردت عن كل تصور للعبادة والدين والصدق والاخلاص

٢- النوع الثاني من الدولة ما له علاقة بالدين ، والدين لم يكن بمعرض عنها غير أن روح الدين الرقيقة قد فرضت عليها قوانين الدولة و قيودها بحيث إن تلك الروح قد تلاشت وحلت محلها القوانين و التقاليد الخشبية ، و من أروع الأمثلة لهذا النوع من الدولة : اليهودية و البرهية .

إن الدين الالهي ( و هو الاسلام ) لم يزل ولا يزال واحداً ، يقول الله تعالى : « إن الدين عند الله الاسلام » ، و هذا الدين دين متكامل شامل ، قد قام

العلماء بتفسير هذا الشمول من عدة وجوه ، منها أنه جامع بين الدين و الدولة بصورة مترنة معتدلة ، و هذه الدولة ليس فيها قيسري ولا كسرى ، و إنما الحكم الاعلى فيها لله الواحد القادر الملك الحق لا إله إلا هو ، ليس للحكام و الأمراء في هذه الدولة أن يصدروا حكماً إلا إذا كان مستنداً إلى كتاب الله و سنة رسوله .

ما ولى الكوفة سعد بن أبي وقاص في عهد عمر الفاروق رضي الله عنه بنى له قصرًا ركب فيه رتاجاً، فلما بلغ ذلك عمر الفاروق بعث من المدينة محمد بن مسلمة رضي الله عنه، وأمره بأن يشعل الحريق في رتاج القصر، فطوى الأرض إليه، ولم يكدر أن يصل حتى أضرم فيه النار، وأراد منه سعد بن أبي وقاص أن يقيم عنده، وعرض عليه الزاد والمداع، ولكنه أبي، واطلق إلى المدينة راشداً (١).

ما خاف معاوية في عهده من المهاجرين عليه من الناس من أن يدخلوا عليه، واحتجب دون حاجتهم وخلتهم، فقام إليه عمرو بن مرة من أصحاب رسول الله ﷺ وأخبره إني سمعت رسول الله يقول : ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكته، فقبل معاوية رجلاً على حوائج الناس (٢) .

قد أكد القرآن الكريم مراراً أمراء المسلمين وحكامهم أن يحكموا بالعدل ولا يقصروا في أداء واجباتهم نحو الدولة والشعب، يقول تعالى : « إن الله يأمركم أن تودوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله عصياً يعظكم به ، إن الله كان سيراً بصيراً ، يا أئمها الذين آمنوا أطعوا الله وأطعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تمازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأديلاً (٣) .

هذه الآيات لها مكانة رئيسية في تشريع قوانين الدولة في الإسلام وأول جزء من هذه الآية ينطبق على الحكم فيها قاله المفسرون .

(١) ابن حبلي ج ١ ص ٥٤ طبع مصر .

(٢) الترمذى أبواب الأحكام .

(٣) سورة نساء : الآية ٥٨-٥٩ .

المحراب ، فإن فيها تنبيها من الله عز وجل لداؤه عليه السلام على أن الخايف إذا فرغ من أداء الفرائض والواجبات يجب عليه أن ينتصب لانتظار شؤون الدولة وقضايا الناس ، وتعاهد للرعاية ، فقد ورد في القرآن الكريم : « و ظن داود أنها فتنناه فاستغفر ربها وخر راكعاً وأناب ، فغفرنا له ذلك ، وإن له عندنا لزلفي وحسن مآب . يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلوك عن سبيل الله (١) .

يتبين من إمعان النظر في نظم الآيات أن داود عليه السلام لما انشغل عن شؤون الدولة وفضل الخصومات وأغلق باب صومعته على الناس وعكف على ذكر الله وعبادته نبه الله على ذلك وأوحى إليه أنه يجب على الخليفة أن يهتم بشؤون الدولة وقضايا الرعاية .

وقد ورد حديث في جامع الترمذى والمستدرك للحاكم يفسر الآية المذكورة، قال رسول الله ﷺ : « ما من إمام يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكته (٢) .

« من ولى أمر المسلمين شيئاً فاحتسب دون خلتهم وفقرهم وفاقتهم احتسب الله عز وجل يوم القيمة دون خلته وفاقته (٣) .

إن الخلفاء الراشدين المديين قد بذلوا أقصى جهودهم في اتباع هذه الأحكام واقتداء آثارها حتى لم يبنوا لأنفسهم القصور وبيوت الجص والآجر ولم يتحجبوها دون رعيتهم ولم يجعلوها بينهم وبينها حجاباً غير أن عباداً كانوا مرتدين على أبوابهم لمن يستأذن للدخول عليهم .

(١) سورة ص : الآية ٢٤-٢٥ .

(٢) الترمذى أبواب الأحكام ص ٢٢٢ .

(٣) المستدرك للحاكم كتاب الأحكام ج ٤ ص ٩٣ .

و هنالك كثير من الأحاديث النبوية تشير إلى أن الحكومة فريضة دينية ، من قام بها كما أمره الله يأتى يوم القيمة آمناً سفراً وجهه ضاحكاً مستبشرًا ، يتقلب بين رحمة الله و نعمته ، و من أهملها و تغافل عن أداء حقوقها يأتى يوم القيمة شيئاً خاتماً خاسراً يلقى الذل و الموان .

قال رسول الله ﷺ : « الامام الذي على الناس راع و هو مسئول عن رعيته » ، (١) .

فالخلافة أو الامارة في الاسلام ليست حدية يتمتع الحكماء وأولوا الأمر بهجتها و نضارتها بل هي مسؤولية دينية لا يحملها إلا من وفقه الله ، قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد يسترعى الله رعية فلم يحيطها بصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة » ، (٢) .

إن معقل بن يسار من أصحاب رسول الله ﷺ عاده في مرضه الذي مات فيه عبد الله بن زيد الذي كان ولياً غشوماً بالبصرة ، فقال معقل يا عبد الله إنني حدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ، لو علمت أن لي حياة ما حدثك به . إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من عبد يسترعى الله رعية يوم يموت و هو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة (٣) .

و دخل عائذ بن عمرو من أصحاب رسول الله ﷺ على عبد الله بن زيد ولم ينتظر مرض موته و خاطبه برفق ولبن ، فقال : أى بنى إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن شر الرعاعة الخطمة ، فايهاك أن تكون منهم فقال له اجلس فاما

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٠٥٧ كتاب الأحكام .

(٢) صحيح البخاري كتاب الأحكام .

(٣) صحيح مسلم كتاب الامارة .

و يتبع من هذه الآيات أنه يجب إقامة العدل التام في أداء الحقوق وأن يکال للناس كما يکال عليهم ، قال الله عز وجل : « ويل للطغفين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا کالوهم أو وزنوه يخسرون (١) . فن زاد أو نقص في الكيل و الوزن ظلم و جار عن العدل و حرم رحمة الله و فضله ، و أما من قضى بالعدل و أقام الوزن بالقسط فقد استوجب الرحمة الالهية » ، إن الله يحب المحسنين ، (٢) .

و أما الذين اتبعوا أهواءهم و جاروا عن العدل فيقول فيهم القرآن :

« و الله لا يحب الظالمين » ، (٣) .

« إن الله لا يحب الظالمين » ، (٤) .

و الظلم معناه غلط الحق ، مما كان حقاً لله أو لعباده .

فإدارة الدولة و شئونها لها اعتبار ديني في نظر الاسلام ، و القيام بها بكل إيمان و احتساب يكسب الأجر و المثوا و الغفلة عنها مأثمه و معصية ، ولا بد أن تؤدي هذه المسؤوليات في ضوء التعاليم الالهية و التوجيهات النبوية ، كما قال عز وجل : « و من لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الفاسقون » ، (٥) .

و قال النبي ﷺ : « ألا أبأ الناس لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله » ، (٦) .

(١) سورة المطففين : الآية ١-٣ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٤٢ - سورة الحجرات : الآية ٩ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٥٧ - و ١٤٠ .

(٤) سورة الشورى : الآية ٤٠ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٤٧ .

(٦) المستدرك للحاكم ج ٤ ص ٨٩ كتاب الأحكام .

و يغدو بها إلى صرخة خضراء و يراقبها كي لا تقع فريسة للسباع و الوحوش الضارية كذلك يجب على الحكم و الأمير الاهتمام بالرعاية و السعي لتربيتها و توفير مرفق الحياة لها ، هذه الكلمة شاملة لمعنى الحب و الشفقة و الملاطفة ، وهي تحمل في طياتها أبعاداً عميقة من المسؤوليات و الواجبات .

و قد وردت عن النبي ﷺ بشارث في الإمام العادل ، قال : « إن المقطفين عند الله على منار من نور عن يمين الرحمن ، وكلنا بديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولووا » (١) .

و قال : « إن أحب الناس إلى الله يوم القيمة و أدناهم مجلساً إمام عادل ، و أبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلساً إمام جائز » (٢) .

وعلى العكس من ذلك فكل أمير أو حاكم لم يحكم بالعدل والإنصاف ولم تهمه أمور رعيته و لم يعن بمعاملته لها بالنصيحة و المودة لم يستحق رحمة الله و نعمته ، قال سيدنا محمد ﷺ : « ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجده لهم ، إلا لم يدخل منهم الجنة » (٣) .

وقال : « ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة » (٤) .

و قال : « إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه و يتلقى به فان أمر بتقوى الله

أنت من نخالة أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال وهل كانت لهم نخالة ، إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم (١) .

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « كانت بنو إسرائيل تسمون أنفسهم الأئماء كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وسيكون بعدى خلفاء ويكترون ، قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال فوا يبعثة الأول فالأخير أعطوه حكمهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم (٢) .

وقال النبي ﷺ : « اللهم من ولی من أمر أمتي شيئاً فشق عليه فاشق عليه ، و من ولی من أمر أمتي شيئاً فرق به فارفق به (٣) .

هذه كلمات من النبي ﷺ شاملة لملك و لأدنى عامل في الدولة الإسلامية على السواء ، و تعود على كل واحد مسؤولية الجانب الذي يتولاه .  
و قال رسول الله ﷺ : « ألا لكم راع و لكم مسؤول عن رعيته ، و الرجل على أهل بيته و هو مسئول عنهم ، و المرأة راعية على بيت بعلها و ولده وهي مسؤولة عنهم ، و العبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (٤) .

الرعية :

قد شاع استعمال هذه الكلمة في لغتنا حتى كدنا ننساً حقيقتها ، هذه الكلمة مشتقة من رعي الأبل و الغنم والبهائم فمعنى ذلك أنه كأن الراعي يهم بعنه وإلهه

(١) صحيح مسلم كتاب الامارة ص ١٢٢ .

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ٤٩١ باب ما ذكر عن بنى إسرائيل .

(٣) صحيح مسلم .

(٤) متفق عليه .

- (٢٦) -

(١) صحيح مسلم كتاب الامارة .

(٢) جامع الترمذى أبواب الأحكام .

(٣) صحيح مسلم كتاب الامارة .

(٤) صحيح البخاري كتاب الامارة .

جنت تجري من تحتها الأنهر ثواباً من عند الله، والله عنده حسن الشهاد، وإن الإسلام دين سماوي خالد متكامل شامل، مختلف في محتواه عن الأديان الأخرى كاليهودية وال المسيحية والبرهنية، فإن هذه الأديان كلها تقر بفضل الدين عن الدولة، وأما الإسلام فلم يعرف هذا الفضل في يوم من الأيام، وإن كلية الدين استعملت في القرآن الكريم في معنى إقامة الأحكام الالهية وتنفيذها، و الدولة وسيلة لإنجاز هذه الغاية، وإقامة الدولة أى لخلافة فريضة محكمة في الإسلام.

إن الخليفة في الإسلام ليس كالملوك الجائرين المستبدين والحكام الظالمين، تعني كلمة الخلافة النيابة، فالخليفة في الإسلام ليس مستقلاً بذاته وإنما هو نائب يستمد سلطته من الله ورسوله، ولا يجوز له أن يقوم بأى تشريع إلا مستنداً إلى كتاب الله وسنة رسوله.

وقد ذكرت قصة آدم عليه السلام في القرآن الكريم كحجر أساس لنظام الإسلام، فإن هذه القصة تشير في جانب إلى تكليف الإنسان وسر العقاب والثواب، وال الحاجة إلى الرسالة والنبوة والمصلحة فيبعثة الرسل والأنبياء، وفي جانب آخر إلى منزلة الإنسان ومسؤولياته في هذه الدنيا، وامتثاله لأحكام الله تعالى و معاملاته وسلوكه تجاه خلقه، فالجانب الأول يسمى بالعقائد الإسلامية، والجانب الثاني يعرف كمبادئ رئيسية الدولة الإسلامية.

(١) سورة آل عمران : الآية ١٩٥ .

## العلاقة بين الدين و الدولة

وعدل فان له بذلك أجراً وإن أمر بغره فان عليه وزراً ، (١) .  
و ما ذكر من الأحاديث النبوية يؤكد أن الحكم و الامارة من أمور الدين تكسب لصاحبتها الأجرا و الثواب و تحملب عليه الويل و العقاب .  
إن الإسلام لا يسمح بالرهبانية واللجوء إلى الكهوف والغارات، والفرار عن معارك الحياة ، إنما يأمر الدولة بأن تجند طاقاتها وتبذل مساعيها في تبليغ أحكام الله و إعلام كلية و إقامة شريعته المبنية المحكمة ، دعا الإسلام بكل قوته إلى الجهاد، و بشر المجاهدين بأن لهم أعظم أجراً و نعمة في الآخرة ، وكانت حياة رسول الله ﷺ وأصحابه عامرة بالجهاد وهنأ نورد بعض الآيات التي تنص على وجوب الجهاد وفضله ، يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الدين كفروا زحفاً فلا تولوه الأدبار ، ومن يولهم يومئذ ذرمه إلا متجرفاً لقتال أو متخيزاً إلى فئة فقد بهم بغضبه من الله و مأواه جهنم و بئس المصير » (٢) .

وقال : « و الصابرين في البأس والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا و أولئك هم المتقوون » (٣) .

كان الصحابة رضي الله عنهم لأجل إيمانهم بأن قطرة دم في سبيل إقامة الدين و إعلام كلية الله تمحو الخطايا والذنوب ، في حنين وشوق دائمين إلى الجهاد والقتال في سبيل الله و الشهادة فيها ، قال الله عز و جل : « فالذين هاجروا و أخرجو من ديارهم وأوذوا في سبيل و قاتلوا و قتلوا لا كفرون عنهم سيأتهم و لا دخل لهم » (١) سنن النسائي كتاب البيعة .

(٢) سورة الأنفال : الآية ١٥-١٦ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٧٧ .

# الدّعوّة الإِسْلَامِيّةُ

الرسول صلى الله عليه وسلم و موقفه من العلم

الشيخ / حسين جوزو (يوغو سلافا)

من المعلوم بالضرورة أن رسالة محمد ﷺ اختتمت بها سلسلة النبوات ولذلك كان رسولنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين والمرسلين ولا نبي بعده. و الثابت أن رسالة محمد ﷺ وبعبارة أخرى بالقرآن بوصفه الكلمة الأخيرة للوحى انتهت فترة الخوارق التي كان أصحاب الرسالات في الأزمان السابقة من الأنبياء يثبتون بها صدق و صحة رسالتهم و بعثتهم.

ولا حاجة بنا أن نستعرض هنا ما قص علينا القرآن من أنباء تلك الخوارق التي أيد بها سبحانه و تعالى رسله بالأيات المعجزات لأن ذلك معلوم لكل من له أدنى لمام بالدين وقد ذكر و سجل القرآن كثيراً من تلك الخوارق المتعلقة بالتحدي للكافر و بآيات صدق دعوة الأنبياء و بعثتهم.

و قد انقضى عهد الخوارق - كما قلنا بعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واستثناء سبحانه و تعالى عن غيره من الأنبياء السابقين ، فلم يؤيد بعثته بالخوارق و الآيات الميتا فيرقة فقط ، وإنما أيدها بالقرآن و آيات الكون ، و قال الله تعالى مخاطباً لخاتم الأنبياء و رسleه ( قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، و لو كنت أعلم الغيب لا ستكبرت من الخير ، و ما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ، (الاعراف ١٨٨) ) ، وقال : « وإن كان كبر عليك إعراضهم



فإن استطعت أن تبتغى نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيمهم بآية ولو شاء الله جمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ، إنما يستجيب الذين يسمعون والموثق يعيشهم الله ثم إليه يرجعون ، (الأنعام ٣٥) .

و قد ثبتت أن القرآن أنهى عهد الخوارق و فتح عهد العقل و العلم و التفكير والتدبر والنظر إلى آيات الكون وإلى ما تحتوى عليه الطبيعة من الأسرار والعجبات كما أطلق للإنسان حرية الكاملة بجميع أنواعها بما فيها حرية الضمير و العقيدة والرأي فريته غير مقيدة ، إنه حر في إرادته و اختيار ما يقدم عليه مما يأشر من أعماله وأفكاره وآرائه واعتقاده ، يقول الله تعالى : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر ، إنما اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بما كملوا يشوى الوجه ، بش الشراب و سامت مرتفقاً ، (الكافر ٢٩-٣٠) » و جاء في القرآن الكريم : « ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعها وأنتم تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، و ما كان لنفس أن تومن إلا باذن الله و يجعل الرجس على الذين لا يعقلون ، قل انظروا ماذا في السماوات والأرض و ما تفتقى الآيات و النذر عن قوم لا يؤمنون ، (يونس ٩٩-١٠٠) . »

و من المؤكد أن ما يتميز به عهد رسالة محمد ﷺ و من أخص خصائصه هو سيادة الوحي و العلم و الاعتماد عليها بدل الخوارق والكهنة و العرافة والتنجيم طبعاً في حدود إمكاناتها كما سنبين ذلك في مكان آخر من هذا البحث . دعا القرآن الكريم إلى السير في الأرض و النظر إلى آيات الكون ، والتأمل فيها وإلى ما جرى في التاريخ من حوادث و إلىأخذ العبر لآمن و أقوام و دول ، يقول الله تعالى في كتابه الكريم : ألم يسيرا في الأرض فنظروا كف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أكثر منهم ، (غافر ٨٢) .



و من الخطأ الفاضح والانخداع الخطير ، الاعتماد المطلق على العلم فقط ، و الثقة التامة بـ ظناً أن الإنسان يكتفى بـ في حياته ، ولا يحتاج إلى غيره ، وهذا ما وقعت فيه الحضارة الحديثة و اتسمت به ، وقد آمنت بالعقل والعلم إيماناً مطلقاً ، واعتمدت عليهما اعتماداً كاملاً ، وتجاهلت و تناكرت لسواءها ، حدث لها ما حدث من انحراف و انحلال و انكار للفضيلة و القيم الروحية ، و من عدم الطمأنينة و الاستقرار في الحياة وفي نفس الناس ، إن الإنسان يعيش في فراق مستمر و اضطراب متواصل و خوف دائم ، وعلى الرغم من التقدم الباهر و المتوجات و المنجزات الضخمة في جميع حقول الحياة فإن العالم المعاصر في مأزق لعل الله يجعل منه مخرجاً و قد طفت فيه الماديات طغياناً لا مثيل له في التاريخ ، وأصبحت القوة تسيطر ببروتها و تتحكم في جميع الأمور و صار الإنسان عبداً للآلة و اخْطَطَ قيمته و حلّت محله و قامت مقامه العقول الإلكترونية - كومبيوتر ، و بهذا أصبح الإنسان بمثابة دودة زائدة بدون وظيفة و كأنه لا حاجة إليه ، قد يستغنى عنه .

و من هنا تبين لنا و ثبت ثبوتاً لا ينطرق إليه أى شك أن الإنسان لفي خسر و لائه لفي خسر منها تقدم في العلوم ، ومهمها أنتج من مختلف المتوجات و منها وصل إليه من حضارات و انجازات مادية و الواقع أن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحتات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر ، فهو لاه لفي سعادة و يمن و بركة .

و معنى ذلك أن العلم بدون الإيمان بالله لا يضمن السعادة وفي الغالب يسام استعماله ، كما حصل ذلك في الواقع في عهتنا ، فإنه قد أسمى استعماله وأصبحت اكتشافاته تهدد البشرية ببادتها مباشرة أو غير مباشرة ، اعني بالأسلحة النووية

، قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض ، (آل عمران ١٣٧) .  
 قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين (النحل ٦٩) .  
 قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ، (العنكبوت ٢٠) .  
 إن التفكير و التفكيك في نظر الإسلام من أفضل العبادات و من المؤثر أن فكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة و أقرب الناس إلى درجة النبوة أهل العلم و الجهد ، و فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، (١) .  
 و يكفينا في معرفة منزلة العلم و مكانته في الإسلام أن نلاحظ أن الله تعالى اختار الإنسان أن يكون خليفة في الأرض ، و سخر له كل ما في السماوات وما في الأرض ، و شرف بهذه المهمة العظيمة ، و فضله على سائر المخلوقات على الرغم مما أبداه الملائكة وأشاروا إلى بعض خصائص الإنسان السلبية من إفساد وسفك الدم ، و ذلك لأن الإنسان يحمل في طبيعته و جوهر كيانه القدرة على العلم و المعرفة ، وقد ميزه الله تعالى و فضله على سائر المخلوقات بالعقل الذي يمكنه من إدراك حقائق الأشياء و كشف نعم الله في الكون ، و علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أبشرني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، (البقرة ٣١ - ٣٢) .

هذا ، ولكن يجب أن نعرف أن عقل الإنسان و علمه يجري في حدود متناهية و نطاق معين و دائرة محدودة ، إن العقل و ما ينتج منه من علوم وفنون و اكتشافات تكنولوجية غير كاف و غير واف لاسعاد البشر و تحقيق رفاهيته و رخاته ، و غير قادر ، لادراك كنه الحقيقة المطلقة ، و إنما يدرك مظاهرها و تجليات صفاتها . لأن الحقيقة المطلقة وراء الكون ، و الكون ليس إلا آية من آيات هذه الحقيقة .

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي وقال : الترمذى : لا يعرف إلا من حديث عاصم بن رجاء من حمزة و ليس استناده عندى بمتصل .

أو بتلوك النفوس و الهواء و الماء، وكل هذا قائم بعمل عمله و ينذر بالويلات  
و التائج الوخيمة المؤلمة .

العلم بدون الإيمان غير مفيد ، لذلك قال الله تعالى في أول آية نزلت على  
الرسول « إقرأ باسم ربك » ، فالعلم باسم رب العالمين معناه استعماله في خير الإنسان  
و المجتمع الإنساني و يتذرع أسانة استعماله ، وكما يتذرع استخدامه في القتل  
و التخريب و التدمير ، وهذا ما حدث مع الأسف الشديد في عهدهنا .

ومع ذلك فإن الإنسان لا يستغني كذلك عن العقل ، ولكنه لا يستغني كذلك  
عن القلب إنه بحاجة إلى العلم ، ولكن حاجته إلى القلب أشد ، لأن إنسانيته تعتمد  
و تتوقف على القلب و المدى أكثر من توقفها على العقل و العلم ، الإنسان يدرك  
بالعقل و يكتفى بالعلم ، ولكنه يقبل المدى ، و ب قبل عمل الصالحات بالقلب فالقلب  
يمثل ناحية مهمة من الإنسان ، وهو مصدر الفضيلة و المدى و الأطام و الإيمان ،  
و من ثمة يجب الاهتمام بهذه الناحية .

وبهذه المناسبة يحسن بنا أن نذكر هنا أن الحضارة المعاصرة التي نسميتها  
بالحضارة الأوروبية قد ارتكبت خطأ آخر ، وهو عنایتها بالبالغة بالتعليم وإهمالها النام  
بالتربية ، أعني عنایتها بالعقل و إهمالها عنایتها بالقلب فتجد العالم المعاصر خالياً عن  
القيم الروحية ، وعن حقاً بالقيم المادية والمذاهب العقائدية و النظم الفلسفية والسياسية  
و الاقتصادية ، التي تحصر برامجها في تحقيق و انتاج ما يحتاج إليه الكيان الجسدي  
المادي للإنسان ، وفي ذلك يكفي أن نذكر لك نظرية داروين و فرويد  
و ماركس ، و هذه النظريات كلها على اختلاف نزعاتها الفلسفية و العقائدية اجتمعـت  
على إزالـة الإنسان و وضعـه في درجة الحيوان من حيث نشأته و دوافعـه النفسية  
و علاقـته بالكون فالإنسان في رأـي أصحابـ هذه النظريـات كانـ له هـدفـ و لا غـاـيةـ

من وجودـهـ وـ لـا رسـالـةـ لـهـ سـوـىـ لـارـضاـهـ شـهـواـتـهـ منـ الجـنـسـ وـ الـاـكـلـ وـ قـدـ اـنجـهـ  
الفـكـ الـأـوـرـوبـيـ وـ عـلـمـهـ وـ فـهـ هـذـا الـاتـجـاهـ الـمـادـيـ الـعـلـاقـيـ ،ـ فـكـانـ ماـ نـشـاهـدـهـ الـيـوـمـ  
مـنـ انـكـارـ وـ جـوـدـهـ اـللـهـ وـ فـقـدـانـ التـواـزـنـ بـيـنـ الـقـيـمـ الـرـوـحـيـةـ وـ الـقـيـمـ الـمـادـيـةـ ،ـ وـ بـيـنـ  
حـاجـاتـ الـجـسـمـ وـ الـرـوـحـ .

إن مـهمـةـ الـعـلـمـ فـيـ نـظـرـ الـاسـلـامـ هـيـ كـشـفـ نـعـمـ اـللـهـ وـ جـعـلـهـ فـيـ خـدـمـةـ الـمـصـلـحةـ  
الـعـامـةـ ،ـ اـعـنـىـ فـيـ خـدـمـةـ الـاـنـسـانـ وـ الـمـجـمـعـ ،ـ وـ هـوـ وـسـيـلـةـ خـيـرـ إـذـاـ أـحـسـنـاـ اـسـتـعـامـهـ  
وـ وـسـيـلـةـ شـرـ إـذـاـ أـسـلـمـاـ اـسـتـعـامـهـ ،ـ وـ إـنـ اـسـتـعـامـهـ إـذـنـ يـتـوقـفـ عـلـىـ الـاـنـسـانـ ،ـ فـاـذـاـ  
كـانـ الـعـلـمـ فـيـ يـدـ رـجـلـ صـالـحـ يـصـبـحـ أـدـاءـ خـيـرـ وـ بـنـاءـ وـ اـصـلـاحـ ،ـ أـمـاـ إـذـاـ كـانـ فـيـ يـدـ  
رـجـلـ شـرـيرـ وـ ذـيـ فـسـادـ يـصـبـحـ أـدـاءـ تـخـرـيبـ وـ تـدـمـيرـ وـ قـتـلـ ،ـ لـذـكـ كـانـ الرـسـولـ عـلـيـهـ  
صـلـوـاتـ الـلـهـ وـ سـلـامـهـ يـسـتـعـيـدـ بـالـلـهـ مـنـ عـلـمـ لـاـ يـنـفـعـ .

مـعـنـاهـ أـنـ الـاـنـسـانـ مـعـ حـاجـتـهـ إـلـىـ الـعـقـلـ وـ الـعـلـمـ فـاـنـهـ فـيـ أـشـدـ الـحـاجـةـ كـذـكـ إـلـىـ  
هـدـىـ مـنـ الـلـهـ وـ تـقـوـاهـ ،ـ وـ هـدـىـ الـلـهـ هـبـةـ وـ إـلـهـاـمـ مـنـ يـعـطـيهـ لـمـ يـشـاءـ وـ يـهـدـىـ إـلـيـهـ مـنـ  
يـشـاءـ ،ـ وـ قـدـ أـمـرـنـاـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـ تـعـالـىـ أـنـ نـتـلـبـ مـنـ الـهـدـاـيـةـ :ـ إـيـاـكـ نـعـبدـ وـ إـيـاـكـ  
نـسـتـعـنـ ،ـ إـهـدـنـاـ الـصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ ،ـ صـرـاطـ الـذـينـ أـنـعـمـتـ عـلـيـهـمـ غـيرـ الـمـغـضـوبـ عـلـيـهـمـ  
وـ لـاـ الـضـالـلـينـ ،ـ وـ هـدـايـتـهـ تـعـالـىـ مـرـبـوـتـةـ وـ مـشـرـوـتـةـ بـتـقـوـاهـ ،ـ ذـكـ الـكـتـابـ لـاـ رـبـ  
فـيـ هـدـىـ لـلـقـيـنـ ،ـ وـ لـمـ يـقـلـ هـدـىـ لـلـعـالـمـينـ وـ الـعـارـفـينـ ،ـ لـاـنـ الـهـدـاـيـةـ فـيـ الـقـلـبـ لـاـ فـيـ  
الـعـقـلـ ،ـ وـ الدـلـيلـ الـقـاطـعـ فـيـ ذـكـ هـوـ عـالـمـ الـمـعـاصـرـ الـذـيـ يـسـودـ فـيـ الـعـقـلـ وـ الـعـلـمـ  
سـيـادـةـ كـامـلـةـ ،ـ وـ لـكـنـهـ خـالـ عنـ الـهـدـاـيـةـ وـ الـإـيمـانـ وـ الـفـضـيـلـةـ ،ـ إـذـ يـمـوتـ فـيـ كـلـ سـنـةـ  
جـوـعـاـ أـكـثـرـ مـنـ عـشـرـيـنـ مـلـيـونـ نـسـمـةـ ،ـ وـ فـيـ نـفـسـ الـوقـتـ تـصـرـفـ وـ تـنـقـقـ الـدـوـلـ  
الـغـنـيـةـ الـرـاقـيـةـ فـيـ التـخـرـيبـ وـ التـدـمـيرـ وـ القـتـلـ مـنـاتـ الـطـيـارـاتـ ...ـ مـنـ الـدـولـ ،ـ  
فـاـ لـلـإـنـسـانـ إـنـهـ لـفـ خـسـرـ ،ـ إـلاـ الـذـينـ آـمـنـواـ وـ عـمـلـواـ الصـالـحـاتـ .

## القرآن و العلم (١١)

- ١ -

الدكتور مسعود أحمد

تعریف: محمد أکرم الندوی

العلم (science) هو ترجمة الملاحظات والاكتشافات التجريبية إلى لغة الإنسان في أسلوب مناسب منسجم، وهو يبنى مبدئياً باعتبار منهج (Method) على الملاحظة والتجربة، ويصل العالم في ضوء هذه التجارب والملاحظات إلى أي استنتاج (Inference) ويتعين في ضوء تعريف هذا العلم ومنهجه أنه لا يتجاوز العالم الظاهري أو الطبيعي (Phenomenal Physical World) وليس له أي صلة بالحقائق التي تصل بما وراء الطبيعة (Metaphysical and Naumenal World). العلم لا يرى نفسه رأياً عما وراء الطبيعة فأنه خارج عن مجاله.

والجانب الآخر الملاحظ في شأن العلم أنه علم غير تام، لم يجتنز بعد المرحلة البدائية في إدراك كنه الحقائق و الوصول إلى أعماقها، فكثير من الحقائق العلية التي أصبحت أجزاء حتمية لعلم الحديث لم يكن أحد يتعرف في الماضي القريب حتى على أسمائها، فعلى سبيل المثال نرى أن العالم قبل عدة سنوات كان يحمل الذرة (Atom) و الذرات التي هي أصغر منها (Sub atomic particles) كالإلكترون والبروتين و النيوترون و ما إلى ذلك من تفاصيل الأشياء التي لا ترى إلا بالمجهر، فكثير من (١) إنما تحدثنا في هذا البحث عن العلم الطبيعي (Physical) و العلم الفطري (Natural) و لم ت تعرض للعلوم الاجتماعية (Social Sciences) و علم النفس (Psychology).

و عند ما نبحث عن موقف الرسول من العلم كان أجرد بنا أن نعرض الواقع المسلمين و موقفهم من العلم، إن موقف الرسول من العلم هو بعينه موقف القرآن منه، و موقف القرآن من العلم معلوم، ولكن ما الفائدة من التغنى و الترجم بهذا الموقف و حالة المسلمين و واقعهم من التخلف و الضعف و نسبة الأمية بينهم مما يوم و يوسف له.

و لنا أن نتأمل لماذا هذا الواقع؟ و لماذا هذه الأمية بين المسلمين لا تزال منتشرة و نسبتها مرتفعة جداً تصل في كثير من البلدان الإسلامية مثل بنجلاديش و باكستان و إندونيسيا و ماليزيا و في البلدان العربية و غيرها من البلدان الأفريقية حتى في الأقليات الإسلامية التي تعيش في أوروبا و غيرها من البلدان تجد نسبة الأمية بين أفرادها تزيد على نسبة غيرهم، وإن كانوا يعيشون في نفس الظروف.

يجب أن ندرس هذا الواقع وأن نجح على هذه التساؤلات وأن نجد المخرج والخلاص منه، أقول مقدماً بأنني أعارض كل المعارض، وأرفض كل الرفض محاولة تبرئة أنفسنا وإدانة غيرنا و إلقاء المسئولة عليه لما أصابنا من الضعف و التأخر، و اعتقد أن الرأي القائل بأن الاستعمار وحده سبب ضعف المسلمين غير صحيح باطلاق، و الواقع أن الاستعمار وحده ليس سبباً لهذا الضعف وإنما جاء نتيجة له. ورأيو أنه يتهم علينا أن نعود إلى أنفسنا و نبحث عما فينا من أسباب، ضعفنا و ما أصابنا من كوارث و نكسات و مصائب، فما أصابكم من مصيبة فمن أفسكم، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

هذه قاعدة القرآن تجري عليها الحياة منذ وجدت، فهل لنا أن نعتبر؟

معجزات العلم التي كان من المستحيل أن تتصور ، ينظر إليها عالم اليوم بأم عينيه  
ومن الممكن تماماً تأويل هذه الحقائق في المستقبل تأويلاً حتمياً لا يرد ولا يرفض  
فيجب على العلماء الذين يذكرون المعتقدات التي تصل بما وراء الطبيعة أن يعرفوا  
حدود العلم و أنه غير تام .

لابد هنا من إدراك الفرق بين العلم و الفلسفة ، فبعض الناس يخلط بينهما ،  
و هنا أمران :

- (Scientific facts) أحد معايير الحقائق العلمية
- (Philosophical interpretation) والآخر تفسيرها على أساس الفلسفة

إن النظريات العلمية (Scientific theories and hypotheses) هي الوجهات الفلسفية للعلم ، إذ تحقق العلية (Scientific facts) هي حقائق مسلمة ثابتة

ـ ( مستمدة من التجارب و الملاحظات ، فشلا ملح الطعام  
ـ ( Sodium Chloride ortable Salt )

و الكلورين ، وإنه يتكون بتفاعل من كاستيك سودا و أسيد الملح (Hydrochloric) من حيث ماهيته الديموية مركب من الصوديوم

عن الكلوربون عن طريق التحليل الكيماوى للاح ، كأنه تظهر نتيجة واحد باجراء المهجين السبئي والایتحادى ، و على العكس من ذلك فان نظرية الماذاقة لزموتن ،

و نظرية النسبيّة لـ آين سtein ، و نظرية الأثير لـ هيكن ، و نظرية الضوء لنوتون ، و نظرية الشّوّه و الارتفاع لـ دارون ، و ما يلي ذالك .

لم تتوفر البراهين القاطعة على ثبوتها . وأكبر ما يمكن أن يقال عنها إنها قريبة من الحقيقة ، وطالعه القارئ

— (٣٨) —

العدد ١٠ - المجلد ٢٨ — رجب ٤٠١٤

نظرية من النظريات العلمية لم تزل تحتاز - مع تقدم العصور والأزمان - مراحل التتعديل و التبديل .

العلم لا يستكشف الحقيقة الجوهرية ( Absolute reality ) لقضية من العصا  
و إنما يفسرها تفسيراً موضوعياً ، وإنه يحتاج في منهجه الاستقرائي ( Inductive )  
و الاستدلالي ( Deductive ) إلى المنطق والفلسفة ، وإلى ذلك فإن العلم - حسب  
تعريفه - يترجم الملاحظات والتجارب إلى اللغة الإنسانية في أسلوب منسق منسجم ،  
و من أهم نعائمه أن المخ يعمل كواسطة ( Medium ) بين تلك المعلومات  
( Datas ) والاستنتاج ( Inference ) مع أن المخ بحاله الخاص وحدوده  
الخاصة ( Definite Capacity and Limitations ) ومن نعائمه كذلك أن  
نتائج تأثير بأحوال العالم الفردية ( كالعوامل النفسية والنظرية ) ومحطه الاجتماعي  
( كالبيئة الاجتماعية والعلية ) و هناك كثير من العوامل تؤثر في الاستنتاج  
( Inference ) و تؤدي إلى الاستنتاج الناقص ( Defective and imperfect )  
Inference ، و من الممكن عموماً - نظراً إلى هذه العوامل المتغيرة - أن يحدث  
التغيير و التعديل في الحقائق العلمية فضلاً عن النظريات العلية لفرق أن احتمال  
التغيير و التعديل أقوى في النظريات لبروز الجانب العقلي فيها ، إذا الحائق العلية  
هي تلك التائج العلية التي يضلل فيها الجانب العقلي و يبرز الجانب التجربى ،  
و تقترب النظريات العلية إلى الحقيقة بالنسبة التي يغلب فيها الجانب التجربى الجانب  
النظري ( ١ ) .

(١) ولا يغيب عن البال أنه لا يصح استعمال هذه الكلمة في الحقائق التي تصل بما وراء الطبيعة ، لأنه لا يمكن اجراء التجارب المادية عليه ، فـ الحق تطبيق مبادئه و قوانين العالم الطبيعي ( Physical World ) على العالم الميتافيزيق ( Metaphysical or Suprasensory World )

المعلومات ( Datas ) التجريبية لاقبل الحصول على تلك الملاحظات و التجارب و المعلومات .

و هناك قضية أخرى في شأن العلم ، وهي أن الكثيرون من العلماء المعاصرين ماديون في حياتهم الشخصية ، فالتحيز ( Biased ) للاداة بالنسبة لهم ليس سراً مكتوماً ، و لهذا التحيز سيبان رئيساً :

الأول: أن العلم بمقتضى تعريفه تفسير مادي للنوماديس ، فإنه لا يفسر إلا الظواهر الطبيعية المحسوسة ( Physical and perceptible phenomena ) (

و السبب الثاني : أن للعلم في القرنين السادس عشر و السابع عشر تاريخاً مأسوياً مؤلماً أدى به إلى الاستهزاء بالدين و الكنيسة و انكارها ، تولد منه تصور الكون الميكانيكي لديكارت ( Descarte ) ونيتون ، و تقدم بعض الناس خطوة و قالوا إنه يمكن أن يقاس ( Measurability ) كل مظاهر و كل حقيقة من مظاهر الكون و حقائقه ، ووصل الأمر إلى أنه لم يبق « العلم » كحقل للعلم ( Field of knowledge ) فحسب بل نال مكانة منهج الحياة ( Way of life ) يعرف بالمنهج العلمي للحياة .

هذه حقيقة أن التأثير الذي تركه الاختراعات العلمية الحديثة الباهرة للعقل على أفكار الإنسان لا يدانه أى علم آخر بنسبة ما ، فقد وفر العلم تصوره المستقل للكون ( World view ) لا تفذه عيون الإنسان فيه إلى ما وراء الكون ، ولا يسلم عقله أن الحقائق غير المحسوسة معقولة ( Rational ) و يقول هذا التصور إن تصوّر الله اللامحدود و اللامحسوس « غير علمي » .

انظروا إلى نفائص العلم المادي التي يعجز لأجلها عن معالجة القضايا المهمة للبشرية .

و يعني ذلك أن الحقيقة العلمية ( Scientific fact ) هو الاكتشاف العلمي الذي تنتج للوصول إليه الطرق الاصنوفة لللاحظات والتجارب السلبية والابحاية المختلفة ، و الذي يؤدي إلى استنتاج واحد معين ، و إلى ذلك يجب أن لا يكون في هذا الاستنتاج أى تدخل للعقل و التخييل ، و الظاهر أنه من المستحيل تتحقق هذا القيد الأخير ، فالعلم — رغم سائر محاسنه — ليس بما يعتبر الكلمة الأخيرة الختامية .

و قد زعم بعض حاملي لواء العلم أنهم يبحثون عن الحقائق مترفعين عن يقظتهم الاجتماعية و النفسية و لكن هذا الفرض لا يمت إلى الواقع بأى صلة ، و يمكننا أن ندرك باموال الفكر و إماعان النظر أن الاختراع ( Invention ) و البحث ( Investigation ) في كل جانب من جوانب العلم كما يوفر للعلم الجمادات الجديدة والأضواء الجديدة في ناحية أخرى وسائل التبليغ الصامت لجهاز ذلك الباحث الفكري و الخلقي و النظري ، و عند تفسير دوافع ذلك البحث و عوامله يسمع واصحاً صدى النظريات النافذة في تلك البيئة ولا سيما النظريات التي يتأثر بها الباحث ، فالنظر إلى النظريات العلمية من حيث أنها تعبر عن الحقائق الطبيعية في كل حال نتيجة لقلة المعرفة و قصر النظر ، و لأجل ذلك نرى أن معظم النظريات هي وليدة عصرها ، تتغير مع تغير الظروف و الملابسات و النظريات ، و لا تصل إلى حدود الحقائق الجوهرية إلا تلك النظريات التي تفسر التجارب و الملاحظات العلمية مترفة عن النظريات الزمنية او معرضة — ما أمكن — عن الاعتماد عليها ، وكذلك البحث الذي لا يكون الدافع ورائه تمهيد السبيل لنظرية مساعدة في الوصول إلى غاية معينة ، ومن سوء حظ العصر الراهن أن معظم المفكرين يضعون خطة قبل أن يمارسوا الملاحظات و التجارب ، لا شك أن الخطة توضع في المنهج الاستقرائي ( Inductive method ) كذلك ، ولكنها توضع هنا في ضوء تلك



و الاقتصادية و خلقيّة و سياسية لا تختصّ لا تعالج بالعلوم الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية الحديثة ( Social Science Economics and political science ) التي أُسست على مبدأ أن الوحد و الواحد إذا اجتمعا صارا اثنين .

ليس للعلم أى قدرة على حل هذه القضايا والمشكلات فانه حسب تعريفه يحل كل قضية و مشكلة تحابلاً عرضياً غير مركز ( Thirdorder of obstruction ) .  
إذ الدين ينفذ إلى الحقيقة السرية لكل قضية ( Zero order of obstruction ) .  
إن الدافع وراء وجود علوم الاجتماع هو التقدم الباهر الذي أحرزته العلوم الطبيعية ( Natural and pure sciences ) ، بل الحق أن العلم المادي الحديث أمر في كل قسم من أقسام العلم فيرى أخصائيو الاقتصاد الخير لأنفسهم في أن يتبعوا التوجه العلمي ( Scientific methods ) و هذه هي حال الاجتماع والسياسة ، فانهم أدخلوا هذه المنهج العلمي المزعوم في علومهم ، وجعلوا منها العلم الاجتماعي و العلم السياسي ، و بهذا التفوق المزعوم للعلم و سلطنته على العلوم الأخرى ، وبالانهيار أمام الرؤية الكونية الميكانيكية المادية للعلم الحديث ( Mechanical world view ) أصبح علماء اليوم بصفة خاصة و الجماهير من الشعب بصفة عامة يعتقدون هذه السفطنة عقبة وحريّة فكر ، وينكرون العوامل التي تتصل بها وراء الطبيعة والدين وخلق الكون .  
من الناقص الأساسية للعلم أنه يوزع الأشياء في أجزاء مختلفة ، ثم يحل كل جزء على حدة ، حتى أنه يعتبر الإنسان آلة كأن لها أجزاء مختلفة و لا انسجام بين جزئين منه ، و ينسى العلماء المبدأ الطبيعي لعلم الكيمياء القائل إن عنصرين إذا ظلا مجتمعين في حالة خاصة إلى زمن طويل ينشاً منها مركب مختلف في خصائصه الفردية عن العناصر الأصلية ( Parent ) اختلافاً كلياً ، فالتحليل المنحل و السطحية للأشياء لا يقرب من الحقيقة بل يبعد منها .

## القرآن و العلم

الأمر الأساسي في ذلك أن العلم — حسب تعريفه — لا يبحث إلا في الوجود المادي للإنسان ، لا صلة له بجوانبه الخلقيّة و الروحية و الاجتماعية ، كان الإنسان مصنفة لمجرد من كل نوع من الشعور ، أو آلة متحركة لا تحتاج في عملها و أدام وظيفتها إلى الوقود و الاصلاح إذا انكسرت و اختلت .  
لو اقتصرت قضايا الإنسان على الاحتفاظ بالنشوء و التطور الجسدي لاما من دون شك بأن العلم هو السر الوحيد لمعالجة القضايا البشرية ، ولكن للإنسان قضايا اجتماعية و سياسية و خلقيّة و روحية ، و حل هذه القضايا لا بد من الرجوع إلى أي جانب آخر .

يمكن أن يقال إن العلم يعالج سائر القضايا المادية للإنسان ، منها كانت تتعلق بالوجود الجسدي فحسب ، ولكن هذا أيضاً لا يعدو أن يكون فرضاً ، فالحق أن الإنسان بذاته وحدة مستقلة ، يتأثر وجوده المادي بالنواحي الروحية و الخلقيّة و الاجتماعية ، وكل وحدة منها تؤثر في الأخرى ، بل يمدو أن وجوده الروحي هو الوجود الحقيق له ، يواجه لأجله القضايا الأخرى ، و إلا فربى أنه لا تنشأ أي قضية اجتماعية و خلقيّة و غذائية في عالم الحيون فإنه لا غاية له إلا النشوء و البقاء الجسدي و هو أقوى بكثير بالنسبة للإنسان ، وهذا هو السبب في أنه إذا كان شخص مريضاً روحياً لا يستطيع العلم أن يمنحه الصحة جسدياً ، وكذلك الإنسان المتدھور في الخلق و القيم لا يطمئن روحياً ، و من دون حل القضايا الاجتماعية لا يمكن أن يهدأ الإنسان نفسياً ، و أن يكون صحيحاً قوياً جسدياً .

لا شك أن الفرد وحدة من وحدات المجتمع ، و لكنه ليس وحدة بسيطة عادية ، يمكن الاستنتاج منها مباشرة كباقيه العلم الرياضي ( Direct quantitated ) بل هنا إذا اجتمع الواحد والواحد أتجاه قضايا اجتماعية simple measurability



## دفاع عن الاسلام

بعلم : الأستاذ على القاضي ( قطر )

### الدفاع عن الاسلام :

عنوان كتاب لدكتورة لورا فيشيا فاجليري - أستاذ اللغة العربية و تاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابلي بابطانيا .

وال المسلم يسر سروراً بالغاً حين يسمع إنصافاً للإسلام من أحد العلماء الغربيين ، الذين درسوا الإسلام دراسة وافية وابعدوا عن التصب ، وقالوا كلمة الحق في زمن عزت فيه كلمة الحق ، لأن الأهواء تغلبت و لأن المصالح الفردية طفت ، ولأن الحق لم يعد له أنصار كثيرون يدافعون عنه .

إن بعض الغربيين يعيشون الإسلام بما وصل إليه المسلمين من تأخر ، بل إن بعض الغربيين يرون أن سبب تأخر المسلمين هو الإسلام ، لكن الدكتورة فاجليري تنظر بمنظار صحيح و ترى أن سبب تأخر المسلمين إنما هو في ابتعادهم عن منهج الإسلام ، ولو أنهم عادوا إليه لعاد إليهم مجدهم و قوتهم ، ومن هنا فانها تقول في نفقة :

( فالي الكتاب العزيز الذي لم يحقره قط ، لا أصدقاؤه ولا أعداؤه ، لا المتفقون ولا الأميون ، ذلك الكتاب الذي لا يبله الزمان و الذي لا يزال إلى اليوم كعده يوم أرسى الله به إلى الرسول الأمي البسيط آخر الأنبياء حلة الشرائع ، إلى هذا المصدر الصاف دون غيره سوف يوجع المسلمين ، حتى إذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس ، فضلاً يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب ) .

### القرآن و العلم

ثم ننظر في القرآن ، فالقرآن كتاب كامل هداية البشرية ، الإنسان هو موضوعه و محل خطابه ، و هو يبحث في كل ناحية من نواحي الحياة الإنسانية ، ولكنها يتناول الناحيتين الخلقية و الروحية بصفة خاصة بشئ من التفصيل ، فإنه لا يقدر العقل الانساني و الشعور الانساني على أن يضمنا القيم الخلقية و الروحية و مقاييسها الصحيحة ، و لا يستطيع الانسان بهذا الشعور و العقل الناقص أن يضع منهاجاً كاملاً متزناً للحياة لسعادة البشرية ، لا بد لذلك من أن يتلقى العلم من وجود أعلى مباشرة ، يقول القرآن الكريم : « و على الله قصد السبيل و منها جائز (١) » .

يقوم القرآن الكريم على أساس التوحيد و إثبات خالق الكون و بما خارج الكون عن مجال العلم ، فإن العلم لا ينقدم على اكتشاف المادة و الطاقة خطوة ، و خالق الكون ليس بعادة و لا طاقة ، يقول القرآن الكريم : « ليس كمثله شيء » (٢) .

### ( للبحث صلة )

(١) سورة التحلية الآية : ٩ .

(٢) سورة الشورى الآية : ١١ .

نشأ الاسلام مثل النبوع الصاف النمير ، وسط شعب همجي يحيى ، في بلاد منعزلة جرداً بعيدة عن ملتقى الحضارة والفكر الانساني ، و كان ذلك النبوع غزيراً إلى درجة جعله يتحول وشيكاً ، إلى جدول ، ثم إلى نهر ليفيض آخر الأمر ، فتتفرع منه آلاف القنوات تتدفق في البلاد . وفي تلك المواطن التي ذاق فيها القوم طعم تلك المياه الاجعوبية ، سويفت المنازعات ، وجمع شمال الجماعات المتناحرة ، وظهرت عاطفة جديدة ، هي : عاطفة الاخوة بين أنساس تشتد بعضهم إلى بعض مثل عليا مشتركة بين الأخلاق والدين .

## فتوحات سريعة لماذا ؟

إن الذين اعتنقو الدين الاسلامي الجديد سرعان ما اندفعوا إلى البلاد الأخرى ينشرون فيها الاسلام ، هداية الله إليهم ، وقد ثبتت الفتوحات في سرعة عجيبة جعل المؤلفة تقول :

( و لا يزال العقل البشري يقف ذاهلاً دون اكتشاف القوى السرية التي مكنت جماعة من المحاربين الحفاة من الانتصار على شعوب متفوقة عليها تفوقاً كبيراً في الحضارة والثروة والقدرة على شن الحرب ، ومن أدعى الأمور إلى الدهش أن نلاحظ كيف استطاع أولئك الناس أن يحتلوا المناطق كلها ، وأن يثبتوا بعد ذلك فتوحهم على نحو جعل حتى الحروب المتعاقبة قرنًا بعد قرن عاجزة عن اخراجهم منها ، وكيف استطاعوا أن يلهموا نفوس أتباعهم بتلك الحاسة الفائقة لثيم العليا ، وأن يحفظوا بمحبيه نابضة لم تعرفها الأديان الأخرى حتى بعد انتهاء عشرة قرون على وفاة محمد .

## عالمية الاسلام :



و تتحدث الدكتورة لورا فاجايرى عن عالمية الاسلام وتقول : إن الآية القرآنية التي تشير إلى عالمية الاسلام بوصفه الدين الذي أنزله الله على نبى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) هي نداء مباشر للعالم كله ، و هذا دليل ساطع على أن الرسول شعر في يقين كلى أن رسالته مقدرة لها أن تundo حدود الأمة العربية ، وأن عليه أن يبلغ الكلمة الجديدة إلى شعوب تنسب إلى أجناس مختلفة و تتكلم لغات مختلفة ، وثمة دليل آخر على هذا الشعور نفسه في الحديث النبوى الذى يشير إلى أنه كان من عادة محمد أن يقول (بعثت إلى كل أحمر وأسود) أو أن يستعمل تعبير أخرى مماثلة ، بل إننا نجد دليلاً إضافياً في الاشارة إلى الفتوح المستقبلة وراء تحوم بلاد العرب ، وأخيراً في الاتصالات التي بدأ محمد نفسه القيام بها مع البلدان الأجنبية .

لقد قوشت حضارتان و زعزع دينان ، فإذا بفيض جديد من حياة عارمة يتدفق في عروق تلك الشعوب الخائرة القوى ، لقد تجلى أمام عيون العالم المتدهش دين جديد بسيط سهل يخاطب القلب و العقل جميعاً ، و أقيم شكل جديد من أشكال الحكومة كان أسمى إلى حد بعيد في خصائصه و مبادئه الأخلاقية من تلك المعروفة في ذلك العصر ، و بدأ الذهب الذى كان مخبوءاً في صناديق السراة ينتقل إلى أيدي الفقراء مستهلاً نظاماً من التداول السليم كرهاً أخرى ، وفي ظل من الحكومة تسيرها مثل علياً ديمقراطية أمينة وجد الرجال المثقفون البارعون الأذكياء شجعوا من النظام الجديد ، فاستطاعوا أن يلغوا أسمى المناصب العامة ، و من الممكن أن نقول في اطمئنان : إن البلاد المفتوحة عرفت عمداً من الرخاء والازدهار و شهدت غنى لم تشهده آسيا منذ قرون طويلة ، و إلى هذا فقد نعمت حياة

الشعوب المغلوبة بحقوقها المدينة و أموالها بدرجة من الحماية تقارب تلك التي نعم بها المسلمون أنفسهم .

هكذا تتحدث الدكتورة لورا فاجليري عن التحول السياسي و الديني العميق موضحة أسبابه ، لكن الناس ليسوا كلهم على هذا النحو من الفهم ، أو أن بعضهم لا يريد أن يرى الحقائق كا هي لسبب أو آخر ، و من هنا فانهم يبدؤون في اتهام الاسلام بهم مختلفة ، و بدلا من أن يفهموا طبيعة الرسالة الاسلامية و إنها رسالة ، عامة للبشرية و إنها رسالة الهية تجتمع أفراد الجنس البشري من غير تمييز بين جنسية و أخرى ، أو وطن و وطن ، بدلا من يفهموا ذلك ، إذا بهم يشعرون أن الاسلام قام على السيف كما اتهموا نبيه بالكذب و بالقسوة و بالشبق ، و حاولوا بأساليبهم المختلفة أن يحطموا عمله الرائع في الاصلاح الاجتماعي و الدينى ، كما حاولوا اظهار اخلاص صحابته و تابعيه و تفانيهم بمظهر المصلحة الشخصية ، و صوروهم وكأنهم أناس لا تعمر نفوسهم غير الرغبة في الثروة و النجاح الديني .

هل روح الاسلام عدوانية ؟

بدأت الدكتورة لورا فاجليري تفند هذه الاتهام بادئه بتمهيد أن الاسلام قام على السيف و قالت :

إذا كانوا يقصدون أن مهدًا — على خلاف مؤسس الأديان الأخرى — قد امتشق حسامه ونظم حملات عسكرية متطلعا إلى نجاحات و فتوح إضافية بعيدة ، و أن أتباعه حذوا في ذلك حذوه ، فعندئذ يتبعون علينا أن نقول إن هذا صحيح ، ولكن :

يتبعون علينا أيضاً أن نبحث بالعقل المنفتح نفسه عن السبب الذي قضى بهذا ، أما إذا زعموا أن الحرب التدميرية كانت هي السبيل الضروري لفرض العقيدة

( ٤٨ ) -



و أن الحاجة إلى الفتوح كانت جزءاً أساسياً من طبيعة الدين الإسلامي نفسها ، فعندئذ يتبعون علينا أن نرفض الاتهام لأن في استطاعتنا أن نقيم الدليل استناداً إلى القرآن و سنه الذي نفسه على أن ذلك بهتان كامل .

و تحدثت الدكتورة لورا فاجليري عما لقيه النبي عليه السلام في مكة و عن هجرته إلى المدينة ، و أنه بذلك أصبح محور صراع سياسي ، كان عليه أن يختار بين الموت على نحو مذلة و بين القتال لإنقاذ نفسه و جماعته الصغيرة من الملاك .

ثم تشير إلى الصراع الذي يدور بين الفوضوية و هادىة الوثنين المتبررين و مخاصمات و أكاذيب اليهود غير المتساغين ، على الرغم من تحضيرهم البعيد من ناحية و بين مثل أعلى رفيع في التجدد الديني و الاجتماعي من ناحية أخرى .

و تقول الدكتورة لورا فاجليري في ذلك :

كان ذلك المثل الأعلى الذي أراد محمد أن يتحققه بأى ثمن . فقاتل قاتل الرجل الوديع ضد الغطرسة و الطغيان ، أو قل قاتل الرجل الذي لا يرغب في الحرب ولكنه مكره على منازلة أولئك الذين أصرروا على تدميره بالقوة ، وإنما نهض بهذه المهمة و أنصاره قلة قليلة ، و لكنه نهض بها واثقاً من أنه كان يهدى السبيل لا يصلح الحقيقة إلى كثير من النقوص ، ومن أنه كان مكلفاً بأن يهدى الناس سواء السبيل في غمرة الظلم .

### الموقف مع اليهود :

و تشير الدكتورة إلى أن الرسول عليه السلام مد يد الصداقة أول ما مدها إلى اليهود الذين مثلوا في هذه المدينة جماعة غنية مزدهرة ، و أنه دعاهم إلى التعاون الصادق في وحدة سياسية و اجتماعية و لكنه حين أدرك أنهم معادون له عداء — ( ٤٩ ) —

مطلاً ، وأنهم مصرون على اتباع سياسة خاطئة غادرة تعين عليه أن يقاتلهم ويعاقبهم

ثم تقول :

( لقد كانت الحرب دائماً وسيلة لحماية الدين الجديد و تعظيمه ، لا غاية في ذات

نفسها ، كانت دفاعاً ضرورياً ، لا عدواً جائراً ، و لقد عبر القرآن عن هذه

الفكرة بأجل ييان :

( و قاتلوا في سهل الله ، الذين يقاتلونكم و لا تعتدوا ، إن الله لا يحب

المعددين ) البقرة : ١٩ .

( و قاتلهم ، حتى لا تكون فتنة و يكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عداون

إلا على الظالمين ) البقرة : ١٩٣ .

ثم تقول : كان العرب المتصرون مستعدين دائماً ، حتى في أوج قوتهم

و انتصارهم ، لأن يقولوا لأعدائهم : ألقوا السلاح و ادفعوا جزية يسيرة نسبغ عليكم

حياة كاملة ، أو اتخذوا الاسلام ديناً و ادخلوا في ملتنا تتمتعوا بالحقوق نفسها

التي تتمتع بها نحن .

ثم تستشهد الدكتورة بعض الآيات القرآنية التي تبين أنه لا إكراه في الدين ،

و أنه من شاء فليؤمن و من شاء فليكفر ، و تعقب على ذلك بقولها :

و كان محمد المتمسك دائماً بهذه المبادئ الالهية ، شديد التسامح ، و بخاصة نحو

أتباع الأديان الموحدة ، و لقد عرف كيف يتذرع بالصبر مع الوثنيين ، مصطنعاً

الآناد دائماً .

الجزءية :

و تتحدث الدكتورة لورا فاجيرى عن النسخ الدينى في الاسلام و تضرب له

أمثلة بالضمانات التي أعطيت إلى نصارى نهران ، والتعليمات التي أصدرها الخلفاء الراشدون

- ٥٠ -

لقوادهم و بالاتفاقات التي أبرمت و تقول :

بفضل هذه الاتفاques منحت تلك الشعوب حرية الاحتفاظ بأديانها القديمة .

و عن الجزية التي يدفعها الذين لا يرتدون الاسلام ديناً تقول :

لقد كانت هذه الضريبة أخف من الضرائب التي كاـ المسلمين ملزمـين بدفعها إلى حكومـتهم نفسـها ، و مقابل ذلك ، منـح أولـئك الرعاـيا ( المعـروفـون بـأهلـ الـذـمة ) حماـية لا تختلفـ في شـئـ عنـ تلكـ التيـ تمـتعـتـ بهاـ الجـمـاعـةـ الـاسـلامـيـةـ نفسـهاـ .

حريةـ المـعـقـدـ :

و تقولـ بعدـ ذلكـ : و كانـ المسلمينـ لاـ يـكـادـونـ يـعـدـونـ الـاتـفاـقـاتـ معـ الشـعـوبـ ، حتىـ يـترـكـواـ لهاـ حرـيـةـ المـعـقـدـ . وـ حتىـ يـجـمـعـواـ عنـ إـكـراهـ أحدـ منـ أـبـنـائـهـ عـلـىـ الدـخـولـ فـيـ الدـينـ الـجـديـدـ .

و تشيرـ المؤـلـفـةـ إـشـارـةـ ذـكـيـةـ إـلـىـ التـبـشـيرـ فـتـقولـ :

الـجيـوشـ الـاسـلامـيـةـ ماـ كـانـ تـبـعـ بـحـشـدـ منـ الـمـشـرـينـ الـمـلـاحـيـنـ غـيرـ الـمـرـغـوبـ فـيـهـمـ ، وـ ماـ كـانـ تـضـعـ الـمـشـرـينـ فـيـ مـرـاكـزـ مـحـاطـةـ بـضـرـوبـ الـامـتـيـازـ لـكـ يـنـشـرـ وـ اـعـقـيـدـهـمـ اوـ يـدـافـعـ عـنـهـاـ ، لـيـسـ هـذـاـ خـفـبـ ، بلـ لـقـدـ فـرـضـ الـمـسـلـمـونـ فـيـ قـرـةـ مـنـ الـفـرـاتـ عـلـىـ كـلـ رـاغـبـ فـيـ الدـخـولـ فـيـ الـاسـلامـ أـنـ يـسـلـكـ مـسـلـكاـ لـاـ يـسـاعـدـ عـلـىـ تـسـيرـ اـنـشـارـ الـاسـلامـ ، ذـكـرـ أـنـهـمـ طـلـبـواـ إـلـىـ أـولـئـكـ الرـاغـبـينـ فـيـ اـعـتـاقـ الدـينـ الـجـديـدـ أـنـ يـمـشـلـواـ أـمـامـ الـقـاضـيـ وـ يـعـلـمـواـ أـنـ إـسـلـامـهـمـ لـمـ يـكـنـ نـتـيـجـةـ لـأـ ضـغـطـ ، وـ أـنـهـمـ لـاـ يـهـدـفـونـ مـنـ وـرـاءـ ذـكـرـ إـلـىـ أـىـ كـسـبـ دـنـيـوـيـ .

ثـمـ تـقـولـ :

وـ الـوـاقـعـ أـنـ الـيهـودـ وـ الـنـصـارـىـ لـمـ يـنـحـواـ حرـيـةـ المـعـقـدـ الـدـينـيـ خـسـبـ ، بلـ عـدـ لـاـيـهـمـ فـيـ توـلـيـ المـنـاصـبـ الـحـكـومـيـةـ حـينـ كـانـ مـؤـهـلـهـمـ الشـخـصـيـةـ مـنـ الـقـوـةـ بـحـيثـ تـلـفـتـ اـنـتـهـاـ الـحاـكـمـيـنـ .

**تبشيرية حقيقة تقدمه الحيث في آسيا و أفريقيا في وجه الانحطاط العام الذي أصاب الفكرة الدينية في السنوات الأخيرة ؟**

إن أحد لا يستطيع اليوم أن يزعم أن سبب الفاتح هو الذي يهدى السبيل أمام الاسلام على العكس ، ففي الأصقاع التي كانت في يوم من الأيام دولاً إسلامية تولت مقايد الحكم حكومات جديدة تقترب إلى أديان أخرى ، و عملت في أوساط المسلمين طوال فترات عديدة منظمات تبشيرية قوية ، و مع ذلك فان هذه الحكومات و تلك المنظمات لم توفق إلى زحزحة الاسلام و إقصائه عن حياة الشعوب الاسلامية .

**ثم تهتف قائلة :**

أية قوة أمحوبيه تكن في هذا الدين ؟  
أية قوة داخلية من قوى الاقاع تصر به ؟  
من أى غور سيحقق من أغوار النفس الإنسانية ينزع نداوه استجابة مزلزلة .  
تجبه إلى المؤلفة على هذه النظرة الموضوعية المنصفة في وقت عز فيه الانصاف  
و قلت كلمة الحق .

**رد على افتراءات :**

و قد تناولت المؤلفة الرد على افتراءات أعداء الاسلام الذين نسوا أن محمدًا عليه السلام كان قبل الرسالة موضع الاجلال العظيم من مواطنه بسبب أمانته و طهارة حياته ، و كيف جرف على التبشير على الرغم من إهانة مواطنه ، إذا لم يكن ثمة قوى داخلية تحثه حثاً موصولاً ؟ و كيف جاز أن يؤمن به هذا العدد الكبير من المسلمين البلاء والاذكاء ، و أن يوازروه و يدخلوا في الدين الجديد و يشدو أنفسهم وبالتالي إلى مجتمع مؤلف من كثرة من الأرقاء و الفقراء المعدمين ، إذا لم يلمسوا في كلته حرارة الصدق .

**تهمة القسوة :**

و تقول عن تهمة القسوة التي اتهم بها محمد عليه السلام : إن محمدًا بوصفه رئيساً للدولة و المدافع عن حياة شعبه و حريرته قد عاقب باسم العدالة بعض الأفراد المتهين بجرائم معينة عقاباً قاسياً ، وإن مسلكه هذا ينظر إليه في ضوء عصره وعلى ضوء المجتمع الجاف المتربر الذى عاش فيه ، أما محمد بوصفه المبشر بدين الله فكان لطيفاً ورحيمًا حتى مع أعدائه الشخصيين ، لقد امتنع في نفسه العدالة و الرحمة ، و هنا اثنان من أبلل الصفات التي يستطيع العقل البشري تصورها ، لقد جعل الحرب تلك الضرورة الرهيبة في الحياة الإنسانية أقل وحشية ، و كان من أدبه أن يوصي جنوده بقوله : (لا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تغدوا ولا تغروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مشمرة ) .

**قوة داخلية :**

ثم وجهت سؤالاً هو : كيف نفسر مواصلة الاسلام على الرغم من الحرية الدينية الممنوعة في البلدان الاسلامية لمواطني غير المسلمين ، ومن فقدان أيها منظمة



قام به علماء الهند قبل عصر الامام ولي الله الدهلوi (١١٧٤) .

و كان « ملستان » أول مركز على إسلامي في الهند ، لكونها عاصمة الدولة الإسلامية الأولى ، ثم لما انتقلت العاصمة إلى لاهور في عهد الدولة الغزنوية ، كانت لا ينور مركزاً علياً كبيراً ضم العلماء الكبار ، و المشايخ العظام و انتقلت السلطة المركزية في عهد الغوريين إلى دلهي ، فأصبحت هي عاصمة البلاد و استمرت حتى نهاية الدولة الإسلامية في الهند ، و لا تزال هي العاصمة ، للجمهورية الهندية ، و تعرف العاصمة - دانماً - باستقطاب عدد أكبر من أصحاب الاختصاص ، و نوابغ العلوم ، و عباقرة الفنون ، و لكن هناك عدداً من الولايات كولاية كجرات ، و مالوه ، و أوده ، و عدداً من المدن كمدينة جونبور ، و لكهتو ، اشتهرت في بعض أدوار التاريخ الإسلامي أكثر من عواصم الدول الإسلامية ، بكثرة علمائها و مراكزها العلمية ، و حركة التربية و التعليم ، و يرجع ذلك إلى حب بعض الولاة و الأمراء للعلم و العلماء و تقريرهم إياهم ، و اكرام وفادتهم و إقامة المدارس و المراكز العلمية و التربية لأجلهم .

و إذا ألقينا نظرة على رحلات العلماء الأفضل الذين توجوا إلى الهند في عهود مختلفة و أقاموها و درسوا و أفادوا ، نجد العلامة شمس الدين الخوارزمي و شمس الدين القوشي ، و برهان الدين محمود البخري (م ٦٨٧هـ) و برهان الدين البزار و نجم الدين عبد العزيز الدمشقي و كمال الدين زاهد في القرن السابع ، في عهد السلطان غياث الدين بين الذي عرف للعلم قدره ، و ساق مبره و احسانه إليه علماء البلاد ، حتى أصبحت دلهي تضاهي قرطبة و بغداد ، في الإزدهار العلمي ، و انتشار المدارس العلمية .

ونجد الشيخ ظهير الدين البهكري و فريد الدين الشافعى ، حيد الدين مخلص (٥٧٦٤) -

## نظرة على المدارس الإسلامية في الهند

الأستاذ سلطان الحسيني التدويني

يتصل تاريخ المدارس الإسلامية في الهند بتاريخ الشخصيات العلمية الشيرة التي رحلت إلى الهند من بلدان العالم الإسلامي لا سيما من خراسان و ما وراء النهر ، في عهود الدول الإسلامية كالغزنوية و الغورية و غيرهما .

فيجد دارس التاريخ الإسلامي في الهند أن هجرات العلماء الكبار إلى مختلف مناطق هذه البلاد ، تركت آثارها العميقة ، و بصماتها الواضحة على الطبقة المثقفة فيها ، حتى لكتابها مرآة تصور منهجهم و أساليبهم في التربية و التعليم .

و لما أن أكثر العلماء اتجهوا صوب الهند من بلاد خراسان و ما وراء النهر التي وكانت من المراكز العلمية في عصور الإزدهار العلمي بها و كانت أكثر العلوم انتشاراً فيها و عنابة بها ، علوم المنطق و الفلسفة ، و الهيئة و الحساب ، و ما إلى ذلك من العلوم العقلية ، ولم يكن ذلك حال خراسان و ما وراء النهر فحسب بل كان العالم الإسلامي كله إذ ذاك متأثراً بالغزو اليوناني العلمي و الفلسف ، فكان الماهر في كتب الفلسفة و المنطق اليوناني يعتبر « علاماً عصرياً » في العالم الإسلامي زمن الدولة العباسية ، و ازدهرت هذه العلوم أكثر ما ازدهرت في البلاد العجمية التي أنجحت عقولاً كبيرة ، و فلاسفة كثیرین ، وأخرجت مكتبة ضخمة في العلوم العقلية .

فكان لا بد أن تتأثر المدارس الهندية الإسلامية بالاتجاهات العلمية و التعليمية السائدة في بقية العالم الإسلامي ، و أن ترى آثارها واضحة في الاتجاه العلمي الذي

و شمس الدين النجفي و محي الدين الكاشاني (م ٥٧١٩) ، في عهد السلطان علاء الدين الخلجي (م ٦٩٥ - ٥٧١٦) ، و نصر الدين الهاشمي ، و وجيه الدين الرازى ، و تاج الدين مقدم في ٤٦ عالماً من العلماء البارزين قال عنه المؤرخ الأمين ضياء الدين برقى (م ٧٥٨) إنه لم يكن لهم مثيل في بلاد العالم الإسلامي كنا نجد في عهد محمد شاه تغلق العلماء الأجلة كالشيخ معين الدين العمري ، والقاضي عبد المقدار الكندي (م ٧٩١) و الشيخ خواجهي ، و الشيخ أحمد التهانيسرى (م ٨٢٠) الذين تخرج عليهم شهاب الدين الدولة آبادى و حاز - بمحضه - على لقب ملك العلماء ، واستلقت إليه أنظار العالم .

كما نرى الشيخ جلال الدين الرومى في عهد السلطان فیروز شاه الذى ولاه رئاسة المدرسة الملكية ، و كان في عهده الشيخ نجم الدين السمرقندى الذى نشر عليه في الآفاق ، و تخرج عليه الأجيال والأفواج من الشباب .

و قدم الهند في عهد السلطان سكender اللودى ، عالمان جليلان كان لهما من بعد الصيت و حسن الأثر في العلوم العقلية ما لم يكن لغيرهما ، و هما الشيخ عبد الله (م ٥٩٢٢) ، و الشيخ عزيز الله (م ٥٩٣٢) الذين وصلا إلى دلهى من مدينة ملستان ، ورفعا مكان العلوم الحكمة و المنطقية لتجربتها فيها ، فنالت هذه العلوم أكثر من مكانها اللازم في المناهج الدراسية .

و قدم عهد في السلطان أكبر الشيرازي (م ٥٩٩٧) الذى لقب في البلاط بعند الملك ، و طبق صيته البلاد ، و انتشر ذكره في الآفاق ، و انتشر علم الطب ، بجهود الحكيم شمس الدين (م ٨٩ أو ٥٩٨٨) و الحكم على الكيلاني (م ١٠١٨) ، وقام المحدث الجليل الشيخ عبد الحق الدهلوى (م ١٠٥٢) بنشر علم الحديث ، و ترويجه .

ثم ظهر في عهد السلطان شاه جهان ، والسلطان أورنك زيب (م ١٦٦٨ - ١٦١٨) العلامة مير زاده (م ١٦٠١) الذى أحدث ثورة في المناهج الدراسية وترك بذيقاته العلمية في الفلسفة والمنطق أثراً كبيراً وعميقاً في المنهج النظري الذى سار عليه المدارس ، وطبق في المناهج الدراسية في طول البلاد وعرضها ، وقد كانت أسرة الإمام الدهلوى (م ١٦٧٦) و القاضي مبارك (م ١٦٦٢) من تلامذته و خريجيه ، وقد تخرج في هذه المدرسة فطاحل العلماء ، كالشاه عبد العزيز (م ١٢٣٩) و الشاه رفيع الدين (م ١٢٣٣) و الشاه عبد القادر (م ١٢٣٠) ، و الشيخ عبد الحي (م ١٢٤٣) و الشيخ محمد إسماعيل الشيرازي (م ١٢٤٦) و الشيخ محمد إسحاق (م ١٢٦٢) و الشيخ رشيد الدين (م ١٢٤٣) و الشيخ صدر الدين (م ١٢٨٥) و الشيخ عمروك العلي (م ١٢٦٧) .

هذه السلسلة من نوابغ العلماء ، و عباقرة العلوم و الفنون ، لم تكن شخصيات علمية فحسب ، بل كانت مدارس علمية ، و حركات درامية ، و مؤسسات تعليمية و تربوية ، صبغت - في عمودها وأدوارها - المدارس و المناهج الدراسية فيما بقي منها ، و خلفت أثراً بعده المدى لا يزول إلا إذا حل مكانه تأثير أقوى و أظهر و أفعل .

و إذا كان هؤلاء العلماء الفطاحل في دلهى عاصمة البلاد يحملون جيدها بالعلم و الفضل ، فكانت ولاية كجرات أيضاً تزدان بالعلامة المحدث محمد طاهر الفتى (م ٩٨٦) و الشيخ وجيه الدين الكجراوى (م ٩٩٨) و غيرهما ، من الفقهاء و المناطقة و المشايخ المربيين ، و كان في اماراة جونبور ملك العلماء العلامة أبو الفتح شهاب الدين الدولة آبادى (م ٨٤٩) و مولانا المداد ، و ملا محمود صاحب



و قطى ، و مير قطى ، وسلم العلوم ، و في العلوم الحكيمية : الميزى ، و صدرا ، و الشمس البازاغة . وفي الرياضيات : خلاصة الحساب ، و تحرير أقليدس ، و المقالة الأولى ، و تشريح الأفلاك ، و الرسالة القوشيجية ، و شرح الجعفري ، وفي البلاغة : مختصر المعانى ، و المطول ، و في الفقه : شرح الوقاية ، و المداية ، و في أصول الفقه : نور الأنوار . والتوضيح و التلويح ، و مسلم الثبوت ، وفي الكلام : شرح العقائد النسفية ، و شرح العقائد الجلالى و مير زاده ، و شرح المواقف ، و في التفسير : تفسير الجلالين ، و البيضاوى ، و في الحديث مشكاة المصايف .

وقد كان من عيّنات هذا المنهج الدراسي انه ينشئ في الطالب قوة التأمل ودقة النظر ، و يحوجه إلى إعمال العقل ، و تمريره على تقلب المسائل و توجيهها و تصريفها ، و تدريب افکر على الاستنتاج ، و استخراج الدلائل و ترتيب المقدمات ، و ينشئ فيه ملكة قوية للتصرف في العلوم و الاختصاص فيها إذا استخدما حق استخدامها و لم يحمد على النصوص جمود المترددين .

وقد كان الإمام ولی الله الدهلوی من قرأ هذه المقررات الدراسية ، و تخرج بها ، و لكنه بعد جولاته الإجمادية في العلوم ، و رحلته إلى الحجاز و اتصاله هناك بالأساتذة الشافعية و المالكية و الخانبلة و اطلاعه على آثار الإمام ابن تيمية وغيره ، جاء إلى الهند بمنهج دراسي جديد ، كان نصيب الحديث الشريف فيه أوفر من نصيب العلوم الأخرى رغم بقاء تلك المقررات ، المتقدم ذكرها في النطق والفلسفة . و قد كانت هناك تحت إشراف هؤلاء العلماء مدارس و مراكز علية ، بعضها شعبية ، أو خاصة ، و بعضها كان ينبع على الأماء المسلمين في ولايتهم ، و السلطان في العاصمة .

و بما ينبغي أن لا يغيب عن البال أن التعليم في هذه المدارس كان موحداً .  
— (٥٩) —

و كانت لـكنو المركز الثاني بعد دلهى ، إلا أن ظهور الشيخ ملا نظام الدين السماولي (م ١١٦١ هـ) و انتشار صيته في العلوم العقلية غطى على كثير من الشخصيات العلية في العاصمة نفسها ، و قد تأول الشيخ نظام الدين المنهج الدراسي بالإضافة و التعديلات ، التي خضعت لها المدارس و دور التعليم و تمسكت به باسم «المنهج النظامي » ، تمسكاً قوياً ، لا تتجاسر على التعديل فيه و لا تقبل العدول عنه ، حتى أن قامت ندوة العلماء بلکناو بثورة تعليمية ، و رفعت شعار القديم النافع والجديد الصالح بقوة و إصرار ، و طبقت في جامعتها نظاماً جديداً ، و منهاجاً جديداً ، فنمّ عليها ذلك و عورضت معارضه شديدة ، إلى أن انكشف للإبصار أهمية هذا المنهج الدراسي ، و مسيرته للعصر ، و معاليه لفضلياته ، فتغيرت المواقف ، و بدأت الجامعات و المدارس الإسلامية في الهند ، تنهج هذا المنهج في قليل أو كثير ، وفي تحفظ حيناً و حرية حيناً آخر .

و قد كان المنهج الدراسي المطبق في عهد الشيخ ملا نظام الدين السماولي ، و بعد احتفائه و تعديلاه ، كما يلى :

كان جل الاعتماد فيه على كتب المنطق و الفلسفة و الكلام و الفقه و أصول الفقه ، و كان نصيب التفسير والحديث ضئيلاً بالنسبة إلى المقررات في العلوم العقلية ، كما أن علوم العربية ، الصرف و النحو ، كانت تدرس كعلوم نظرية ، تكثر فيها القياسات ، و تعرض في أسلوب منطق بحث ، لا ينشئ في القارئ ذوق اللغة ، ولا ملحة البيان ، فكانت تدرس في علم الصرف خمسة كتب ، هي الميزان ، والمشعب و صرف مير ، و بنج كنج ، و الزبدة ، و الفصول الأكبرية ، و الشافية ، و في النحو : نحو مير ، و شرح مائة عامل ، و هداية النحو ، و شرح الجامى ، و في المنطق : الصغرى ، و الكبرى ، و إساغوجى ، و التهذيب ، و شرح التهذيب ،  
— (٥٨) —



و تقوم في صفوف المسلمين بالدعوة والارشاد والتربيه والاقاذه .

و أسس العالم الفاضل الشیخ محمد علی المونجیری ( م ١٣٤٦ ) مع زملاءه من العلماء الكبار الذين دعاهم التفکیر بجمع شمل المسلمين ، و إزالة الفجوات الواسعة بين الطبقة القديمة و الطبقة الجديدة ، جمعية ندوة العلماء التي قامت كحركة دینیة علییة و اجتماعية و أقامت احتفالات دینیة كبيرة لابحث روح التألف والتآخي بين المسلمين ، كما دعت إلى تحديث العلوم ، وصياغتها الجديدة ، و التعديل في المناهج الدراسية حسب التطورات الزمانیة ، و المقتضيات العصرية ، و أنشأت عام ١٣١١ هـ دار العلوم ندوة العلماء تعبيراً عن رغبتهما في التطبيق والممارسة العلمية لدعوتها النظرية ، و قد آتت هذه الدار ثمارها و عرفت بآثارها شرقاً و غرباً .

هذه كبرى مدارس المسلمين أو جامعاتهم الشعيبة في الولاية الشماليه في الهند ، وكلمة « المدرسة » في الهند تطلق على الابتدائية كما أنها تطلق على الجامعة ، كذلك شأنهم مع مصطلح « الجامعة » يسمون بها أحياناً مدرسة ثانوية ، أو كلية ، و لا أعني بوصف هذه المدارس أنها كبرى مدارس المسلمين في ولاية اوبراديش ، كبر حجمها و كثرة عدد طلابها ، فان هناك عدداً من المدارس قد يفوق عدد الطلاب فيها عددهم في هذه المدارس ، و لكنها جامعات لها مناهجها الخاصة ، و تأثيرها العظيم و لها فروع متعددة في أرجاء البلاد ، و تنتهي مسلكها في العقائد و النظريات و العلوم المنظمات و مؤسسات و حركات .

و إن المدارس الإسلامية في الهند مرتبطة بالشخصيات العلية والتربيه العظيمة ، و ذلك لأن تاريخها كثيراً ما يبدأ بجهود شخص واحد من العلماء المجاهدين المتأثرين و قلياً توجد مدرسة إلا و تبدأ مدرسة ابتدائية تقام في مسجد أو جناح يدت أصحاب الخير أو في كوح المؤسس لها ، ثم توسع بتأثير هذا العالم بسلوكه أحد و خلقه ، و استقامته ، و تعلق قلوب الناس به ، و اعتقادهم في اخلاصه و سموه و انجداب الطلاب إليها ، و تخرج دفعات كبيرة مستمرة تهد الشعب بالعلم و الایمان ،

لم تكن هناك ثانية في التعليم ، فكان المتعلمون في هذه المدارس يتوجهون بعد تخرجهن إلى أي اختصاص شاؤوا ، و يعني الاختصاص في تلك العهود أن يتوجهوا إلى كبار العلماء الأفاضل ، فإذا ذروا عليهم علماء معيناً ، و يتخرجوا عندهم ، فكان هذا المنهج يخرج السياسيين و الاقتصاديين ، و المهندسين ، والرياضيين ، إلى جانب الفقهاء و المفسرين و الحدثاء ، وكانت اللغة الفارسية هي لغة التدريس ، في هذه المدارس .

و تغيرت أوضاع البلاد بعد الاحتلال الانكليزي ، و استهدف المسلمين للإبادة الجسيمة و العقلية و العلية ، ولكن الله تعالى أهتم بعض عباده الصالحين ، بتأسيس المدارس الشعيبة التي تقوم على تبرعات المسلمين التي يجمعونها بكدهم و عرق الجبين ، وتكون هذه المدارس قلاعاً حصينة للبقاء من الشعب المسلم ، فأسس العالم الجليل الشیخ محمد قاسم النانوتوی ( م ١٢٩٧ ) مدرسة عام ١٢٨٢ في قرية دیوبند ، قبل زهاء قرن و ربع من الزمن ، و سميت دار العلوم دیوبند ، و تدرجت نحو الرق و الاكمال حتى أصبحت جامعة كبيرة خرجت أجيالاً كثيرة من العلماء و المجاهدين الذين أسسوا مدارس و مراكز و مؤسسات و جامعات علية ، فما تركوا مدينة ولا قرية إلا و أقاموا فيها مدرسة ، في المسجد أو في الزاوية ، داخل الكوخ أو تحت ظل شجرة ، كانت هذه هي الاستراتيجية الحكيمه التي استطاعت بحول الله - تعالى - و قوته ، أن تحافظ على ثور الاسلام و تحفظ كيانه و شخصيته ، من أن تذوب في نار الاستعمار البريطاني .

و أسس العالم الكبير الشیخ محمد مظہر ( م ١٣٠٢ ) مدرسة أخرى ، سميت مدرسة مظاہر العلوم بسہارنفور ، أصبحت على مر الأيام كتلک في شهرتها وانجداب الطلاب إليها ، و تخرج دفعات كبيرة مستمرة تهد الشعب بالعلم و الایمان ،

تقسم قسمين : قسم وهو الأكبر ، يتبع المنهج النظائى المطبق في دار العلوم ديويند ، و مظاهر العلوم بسها - نفور ، مع تعديلات و إضافات أجريت مؤخرأ ، وقسم آخر يتبع منهج ندوة العلامة الذى يركز على اللغة العربية و دراسة العلوم القرآنية ، و الحديثية ، مع التعرف على الفلسفات و الأفكار المعاصرة ، و عرض الإسلام باصالته و قدمة في أسلوب عصري ملائم .

و توجد في جنوب الهند مدارس تضاهي هذه المدارس في شمال الهند ، تهج بعضها نهج الجامعات الإسلامية في السعودية ، لاسيما الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، كأن مدارس السلفية تمزج بين منهج ندوة العلامة ، وبين عدد من مقررات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، و يرجع ذلك إلى وجود مدرسين و مسؤولين في هذه المدارس من خريجي الجامعة الإسلامية .

و تمتاز المدارس الإسلامية في الهند بروح التشفف والصبر واحتمال الشدائـد ، و توقير الطلاب لأساتذتهم ومربيهم و بتجليلهم ، مع الحب المتبادل ، و الشفقة الأبوية من جانب الأساتذة و المربيـن ، كـا أنها تمتاز بأن طلابها يصرـفون جهودـهم في تحصـيل العلم تـأمينـاً أن يخدمـوا الـاسلام و يخدمـوا الـعلم ، إذـ أنـهم يـعرـفـون مـصـيرـهم بعدـ تـخـرـجـهم في هذه المدارس الشـعبـيةـ الخـاصـةـ ، حيثـ لاـ يـقـلـوتـ فـيـ الوـظـائفـ الـحـكـومـيـةـ ، فـليـجـدواـ مـكـانـهـمـ فـيـ قـلـوبـ الـمـسـلـيـنـ الـذـيـنـ يـحـترـمـهـمـ وـ يـسـاعـدـهـمـ فـيـ إـقـامـةـ الـمـؤـسـاتـ الـعـلـيـةـ وـ الـمـراـكـزـ الـدـينـيـةـ ، وـ يـرـفـعـهـمـ بـالـحـبـ وـ الـاجـلـالـ عـلـىـ رـوـسـهـمـ ، وـ ماـ مـنـ شـكـ فـيـ أـنـ هـذـاـ الـوـضـعـ مـعـ عـلـاتـهـ وـ مـعـ مـاـ فـيـهـ مـنـ مشـاكـلـ وـ أـضـرـارـ لـاـ يـخلـوـ عـنـ فـائـدةـ التـرـكـيزـ وـ الـانـصـرافـ إـلـىـ الـعـلـمـ ، وـ مـحاـوـلـةـ التـبـرـيزـ فـيـهـ ، وـ التـظـاهـرـ بـعـضـهـ العـلـامـ تـارـةـ عـنـ إـخـلاـصـ وـ حـسـنـ نـيـةـ ، وـ تـارـةـ لـلـاـسـلـاكـ فـيـ صـفـ الـعـلـامـ ، وـ كـلـ ذـلـكـ لـهـ إـيجـاـيـاتـ الـكـثـيرـ ، وـ سـلـيـاتـ الـعـدـيدـ .

## نظرة على المدارس الإسلامية في الهند

و نـزـاهـتـهـ ، فـاـذـاـ اـثـبـتـ عـالـمـ مـاـ مـنـ الـعـلـامـ جـدـارـتـهـ فـيـ هـذـهـ الصـفـاتـ كـانـتـ مـدـرـسـتـهـ تـنـسـعـ مـعـنـىـ وـ مـادـةـ ، وـ يـكـثـرـ فـيـهـ عـدـدـ الطـلـابـ ، وـ تـتـوفـرـ التـبـرـعـاتـ ، وـ يـقـامـ مـبـنىـ أـثـرـ مـيـفـ حـسـبـ الـحـاجـاتـ الـمـدـرـسـيـةـ ، إـلـىـ أـنـ يـتـمـ بـنـاؤـ الـحـيـ الـمـدـرـسـيـ أوـ الـجـامـعـيـ ، وـ قـدـ يـشـهـدـ المؤـسـسـ هـذـاـ التـطـوـرـ ، وـ التـقـدـمـ ، فـيـسـرـ بـطـيعـ الـحـالـ وـ يـكـونـ قـطـبـ الرـحـىـ ، تـدـورـ بـرـأـيـهـ وـ مـشـورـتـهـ الـأـمـورـ ، وـ يـكـرمـ وـ يـعـظـمـ ، ثـمـ إـنـ كـانـ أـبـنـاؤـهـ عـلـىـ شـاـكـلـ أـبـيـهـ فـيـ الـدـينـ وـ الـحـلـقـ وـ الـأـمـانـةـ ، فـلـاـ يـرـيدـ النـاسـ إـلـاـ أـنـ يـولـهـ رـئـاسـةـ الـمـدـرـسـةـ ، وـ لـاـ يـغـوـنـ بـهـ حـوـلـاـ ، أـمـاـ إـذـاـ ثـبـتـ غـيرـ ذـلـكـ ، وـ أـحـبـ النـاسـ عـزـلـهـ ، فـتـشـأـ الـمـشـاكـلـ ، وـ تـحدـثـ فـنـ وـ مـحنـ .

هـذـهـ قـصـةـ الـمـدـرـسـ الـإـسـلـامـيـ بـصـفـةـ عـامـةـ فـيـ شـوـمـهـ وـ اـرـتـقـاـهـ وـ تـوارـثـهـ ، أـمـاـ مـالـيـهـ فـتـعـتـمـدـ عـلـىـ الـأـوـقـافـ كـالمـزارـعـ وـ الـبـسـاتـينـ ، وـ الـيـوـتـ الـسـكـنـيـةـ ، وـ أـمـوـالـ الـرـكـاـةـ وـ الـصـدـقـاتـ الـتـىـ يـخـرـجـ جـمـعـهـ السـفـراءـ فـيـ مـخـتـلـفـ الـأـيـامـ لـاـسـيـماـ فـيـ رـمـضـانـ ، كـاـ تـرـسـلـ هـذـهـ الـأـمـوـالـ وـ غـيـرـهـ مـنـ الـهـداـيـاـ وـ الـتـبـرـعـاتـ ، بـالـبـرـيدـ أـيـضاـ ، وـ كـثـيرـ مـنـ الـمـدـرـسـ تـفـتـحـ فـرـعـاـ دـامـ الـعـلـمـ يـسـتـقـبـلـ الـحـبـوـبـ وـ الـغـلـاتـ زـمـنـ الـحـصـادـ وـ جـلـودـ الـحـيـوـانـاتـ فـيـ أـيـامـ الـأـضـاحـىـ ، أـوـ تـنـظـمـ وـتـفـرـضـ قـدـرـأـ زـهـيدـاـ مـنـ الـمـالـ كـنـصـفـ روـيـةـ أـوـ أـقـلـ أـوـ أـكـثـرـ عـلـىـ كـلـ فـرـدـ مـسـلـمـ مـنـ أـفـرـادـ الـقـرـيـةـ ، الـتـىـ تـقـومـ فـيـهـ الـمـدـرـسـةـ ، وـ غـيـرـ ذلكـ مـنـ طـرـقـ التـتـظـيمـ وـاجـمـعـ الـشـعـبـ الـحـرـةـ ، وـ بـالـرـغـمـ مـنـ الـجـهـودـ الـصـعبـةـ الـتـىـ يـبذـلـهـ السـفـراءـ ، وـ تـجـاـوـبـ كـثـيرـ مـنـ أـفـرـادـ الـشـعـبـ مـعـهـ ، لـاـ تـحـصـلـ هـذـهـ الـمـدـرـسـ لـاـ لـيـهـ مـاـ تـحـصـلـ عـلـيـهـ مـدـرـسـةـ حـكـومـيـةـ اـبـدـائـيـةـ اوـ ثـانـوـيـةـ ، فـتـكـونـ رـوـاتـبـ الـمـدـرـسـينـ فـيـ هـذـهـ الـمـدـرـسـ زـهـيدـةـ ، كـاثـتـينـ ، وـ ثـلـاثـةـ وـ أـرـبـعـةـ روـيـةـ فـيـ أـكـثـرـ الـمـدـرـسـ الـأـبـدـائـيـةـ وـ الـثـانـوـيـةـ .

وـ المـاهـيـةـ الـدـرـاسـيـةـ الـمـطـبـقـةـ فـيـ هـذـهـ الـمـدـرـسـ الـمـبـنـةـ فـيـ طـولـ الـهـنـدـ وـ عـرـضـهـ

## كعب بن زهير بن أبي سلمى

- ٢ -

### سعد الأخطمي

و يروى أصحاب التاريخ أن بحيراً و كعباً كلّيهما كانا قد خرجا بعد بعثة النبي ﷺ إليه لكي يسلما ، ثم بدا لكعب فتأخر عن الذهاب و رجع إلى أهله ، و تقدم أخوه بحير و سمع كلام رسول الله ﷺ وأسلم ، الأمر الذي لم يعجب أخيه كعباً ، فبقي على الشرك ما أراد الله أن يبقى ، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة لحقه أخيه بحير و شهد معه عدة غزوات ، وأراد يستدعي أخيه كعباً إلى رسول الله ﷺ فعرض عليه أن يلحق بالنبي ﷺ ، فأنكر ذلك كعب وأجابه بالأيات التي مطلعها:

ألا أبلغ عن بحيراً رسالة فهل لك فيما قلت ويحك هل لك

فبلغ رسول الله ﷺ شعره هذا فتوعده و نذر دمه ، فكتب بحير إلى كعب يخبره بأن رسول الله ﷺ قتل رجالاً من كانوا يؤذونه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فاقدم عليه فإنه لا يقتل أحداً أتاها نائماً ، وإن أنت لم تفعل فاجب بنفسك . أما الرواية التي تقول : إن كعباً وأخاه بحيراً قد خرجا إلى رسول الله ﷺ حتى بلغا أبرق العزاف (١) ، فقال كعب لبحير : ألق هذا الرجل و أنا مقيم لك هنا ، فإن جميع الشواهد تدل على أنها تتعلق بالخروج الأول حينما كانا قد خرجا بعد

(١) ماء أبي أسد بن خزيمة ، وهو في طريق من يسلك من البصرة إلى المدينة ، و في رواية : أبرق العراق ، و هو تحريف .

ثم إن هذه المدارس الإسلامية لا تستطيع أن تبقى ، وتأتيها مواردها ، إلا إذا بقيت حفاظة على إسلاميتها ، وروحها الدينية و الدعوية ، واتصالها العلي مع الشعب ، و التعرض لحل مشاكله ، والرد على أسئلته و استفتاءاته ، و الاستجابة لنديمه ، و التالية لدعواته إلى ممارسة الحياة العملية الواقعية ، فلا أبراج عاجية ، ولا عزلة علية ، ولا كهوف فاسفية ، شأن كثير من الجامعات في العالم الإسلامي للأسف الشديد .

هذه نظرة على المدارس الإسلامية في الهند تاريخها ، وكيفية نشوئها وارتقاءها ، وأوضاعها وخلفياتها ، وروح السائدة فيها ، ويزاراتها ، يمكن أن ينظر من خلال مرآتها إلى الجامعات الإسلامية في بلدان العالم الإسلامي ، فيستفاد من بعض جوانب الخير فيها ، ويساهم في تحسينها ، وتقام جامعات مثالية في روحها العلمية الجامعية ، وسلوكها الحركي الواقعي ، وتطبيقاتها الجاد المشرّف ، ذلك ما يتمناه المسلمون ، ويس إله حاجة الشباب المسلم .

و الله المستعان وعليه فليتوكل المتوكلون .



فقال رسول الله : مامون والله ، ثم أنسده ، يعني كعبا :

« بانت سعاد فقلت اليوم متبول ،

قال عمر بن شبة : خذني الحزامي ، قال حدثني محمد بن فليح عن موسى بن عقبة ، وأخبرني بمثل ذلك أحمد بن الجعدي ، قال حدثنا محمد إسحاق المسيبي ، قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة ، قال : أنسدها رسول الله في مسجده ، فلما بلغ إلى قوله :

إن الرسول لسيف يستضاه به مهند من سيف الله مسلول في فتية من قريش قال قاتلهم يطن مكة لما أسلموا زولوا زالوا ، فازال أنكاس ولا يكشف عند اللقاء ولا خور (١) معازيل

وأشار رسول الله إلى الحلاق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير ، قال الحزامي : قال علي بن المديني : لم أسمع قط في خبر كعب بن زهير حديثاً أتم ولا أحسن من هذا ، ولا أبالي أن لا أسمع من خبره غير هذا ، (٢) .

وفي رواية للأصفهاني عن عمر بن شبة أن كعباً نزل برجل من جهة ، فلما أصبح أتى النبي فقال : يا رسول الله أرأيت إن أتيتك بكعب بن زهير مسلماً أم تمنه قال : نعم . قال : فأنا كعب بن زهير ، فتواثبت الاصناف ، تقول : يارسول الله ائذن لنا فيه ، فقال : و كيف وقد أتاك مسلماً ، و كف عنه المهاجرون ولم يقولوا شيئاً ، فأنسد رسول الله قصيدة :

« بانت سعاد فقلت اليوم متبول ،

حتى انتهى إلى قوله :

(١) خور جمع آخر بمعنى الضعفاء ، و يروى ميل جمع أميل .

(٢) الأغافل ج ١٥ ص ١٤٣ .

كعب بن زهير بن أبي سلمي

بعثة الذي أتته إله ثم بدا لكعب فتأخر و رجع إلى أهله ، و تقدم بجير فذهب إلى الذي أتته .

و ظل كعب على الشرك حتى كانت المجزرة و تم فتح مكة ، فكتب إليه أخوه بجير و كان قد شهد حيناً و الطائف و خير ، و شهد فتح مكة ، الذي أعز الله به الإسلام وأذل به الشرك والشركين ، و بعد منصرته من الطائف كتب بجير بن زهير بن أبي سلمي إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله قتل رجالاً ينكحه من كان يهوده ، فان كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله قاتله فإنه لا يقتل أحداً جاء إليه تائباً ، و كان كعب قد قال الآيات التي أهدر النبي دمه من أجلها .

و وقع هذا الكلام في نفس كعب بن زهير و أشفق على نفسه و خاف أن يقتل ، فصنع قصيدة التي يعتذر فيها إلى رسول الله و يمدحه :

بانت سعاد فقلت اليوم متبول متيماً إثرها لم يجد مكبولاً يتحدث أبو الفرج الأصفهاني عن وصول كعب إلى المدينة و حضوره إلى الرسول فقول :

« ثم أقبل حتى آتاخ راحته ، يباب مسجد رسول الله ، و كان مجلسه من أصحابه ، مكان المائدة من القوم ، حلقة ثم حلقة ثم حلقة و هو وسطهم ، فيقبل على هؤلاء يحدثهم ، ثم على هؤلاء ثم على هؤلاء ، فأقبل كعب حتى دخل المسجد ، فخطى حتى جلس إلى رسول الله ، فقال يارسول الله : الأمان ، قال . ومن أنت ؟ قال : كعب بن زهير ، قال : أنت الذي يقول ، كيف قال يا أبو بكر أنسدته حتى بلغ إلى قوله :

سقاك أبو بكر بكأس روية و أنهلك المامون منها و علاكا

لا أفينك ، إنى عنك مشغول  
 و قال كل خليل كنت آمله  
 فقلت خلوا سيل لا أبالكم  
 كل ابن أثى - وإن طالت سلامته -  
 يوماً على آلة حدباه محول  
 و العفو عند رسول الله مامول  
 مهند من سيف الله مسلول  
 يطن مكة لما أسلموا زولوا  
 زالوا ، فازال أنكاس ولا كشف  
 لا يقع الطعن إلا في نحورهم  
 وما بهم عن حياض الموت تهليل  
 فنظر النبي ﷺ إلى من عنده من قريش أن اسمعوا ، حتى قال :  
 يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التنايل  
 يعرض بالأنصار لغاظتهم كانت عليه ، فأنكر قريش ما قال ، وقالوا : لم تدخلنا  
 لاذ بجوبهم ، ولم يقبلوا ذلك حتى قال :  
 في منقب من صالحى الأنصار  
 من سره كرم الحياة فلا يرث  
 الباذلين نفوسهم لنبيهم يوم الهايج و سطوة الجبار  
 يتظرون - كأنه نسك لهم -  
 صدموا علينا يوم بدر صدمة ذلت لوقتها جميع نزار  
 يعنيبني على بن مسعود ، و هم بنو كنانة (١) .  
 فكساه النبي ﷺ بردة اشتراها معادية من آل كعب بن زهير بمال كثير

(١) كنانة : هم بنو علي بن مسعود يعنيبني عبد مناة بن كنانة أخو النضر بن كنانة جد قريش ، وإنما سموا عليا لأن عبد مناة بن كنانة كان له أخ لامه هو علي بن مسعود الغساني .

لا يقع الطعن إلا في نحورهم وما بهم من حياض الموت تهليل  
 هكذا في رواية عمر بن شبة ، و رواية غيره « تعليل » .  
 فعند ذلك أومأ رسول الله ﷺ إلى الحلق حوله : أن تسمع منه ، قال  
 و عرض بالأنصار في قصيده في عدة مواضع ، منها قوله :  
 كانت مواعيده عرقوب لها مثلاً و ما مواعيده إلا الأباطيل  
 و عرقوب رجل من الأوس ، فلما سمع المهاجرون بذلك قالوا : ما مدحنا  
 من هجا الأنصار ، فأنكروا قوله ، و عتب على ذلك فقال :  
 من سره كرم الحياة فلا يرث في منقب من صالحى الأنصار (١)  
 وجاء في طبقات خول الشعراه محمد بن سلام الجمحي في ترجمة كعب بن زهير  
 عن قدومه إلى رسول الله ﷺ يقول :  
 « قدم كعب متنكراً حين بلغه عن النبي ﷺ ما بلغه (٢) ، فآتى أبي بكر ،  
 فلما صلى الصبح آتى به و هو متثم بعماته ، فقال يا رسول الله ، رجل يباعك على  
 الإسلام ، و بسط يده و حسر عن وجهه ، و قال : يا أبا أنت و أى يا رسول  
 الله ، [ هذا ] مكان العائد بك ، أنا كعب بن زهير ، فتجهمته الأنصار و غلظت  
 عليه ، لما ذكر به رسول الله ، و لانت له قريش وأحبوا إسلامه و إيمانه (٣) ،  
 فأمنه رسول الله ﷺ ، فأنشد مدحته التي يقول فيها :  
 بانت سعاد فقلبي اليوم متبرول متيم إنثرا لم يقد مكبور  
 حتى انتهى إلى قوله :

(١) الأغاني ج ١٥ ص ١٤٣-١٤٤ .

(٢) يعني ما أتذره به أخوه بجير في كتابه إليه .

(٣) المراد من إيمانه هنا ، إعطاؤه الأمان .



و القائدين (١) الناس عن أدیانهم بالشرفي و بالقنا الخطار (٢)  
يتظرون يرونه نسقا لهم بدماء من علقو من الكفار  
دربوا كما دربت يطن خفية غالب الرقاب من الأسود ضواري (٣)  
و إذا حللت لينعوك إليهم أصبحت عند معاقل الأعفار (٤)  
ضربوا عليا يوم بدر ضربة دانت لوقعتها جميع نزار (٥)  
لو يعلم الأقوام علم كلهم لصدقى الذين أمارى (٦)  
قوم إذا خوت النجوم فانهم للطارقين النازلين مقارى (٧)

(١) شرحها أبو ذر على أن « القائدين » و « الدائدين » ، بمعنى المانعين والدافعين

(٢) المشرفي : السيف ، و القنا : الرماح ، جمع قناة ، و الخطار : المهز .

(٣) دربوا : تعودوا ، و خفية : نسم مأسدة ، و غالب الرقاب : غلاظ الأعنق ، و ضواري : متعدادات الصيد و الافتراض .

(٤) المعاقل : جمع معقل ، و هو الموضع الممتنع ، و الأعفار : جمع عفر ، و هو ولد الوعول ، ويضرب المثل بامتانع أولاد الوعول في قلل الجبال .

(٥) عليا : يزيد علي بن مسعود بن مازن الغساني . و إليه تنسب بنو كنانة ، لأنه كفل ولد أخيه عبد مناة بن كنانة بعد وفاته . فنسبوا إليه .

(٦) أمارى : أجادل .

(٧) خوت النجوم : أى سقطت ولم تُطر في نوتها ، و الطارقون : الذين يأتون بالليل ، و المقارى : جمع مقرأة ، و هي الجفة التي يصنع فيها الطعام للأضياف ، يزيد أنهم إذا انحبس المطر ، و اشتد الزمان ، و عم القطط ، يكونون أصحاب قصاع لقري الأضياف الذين يطرقوهم ، و ينزلون بهم .

### كعب بن زهير بن أبي سلمى

قد سئى ، فهى البردة التي تلبسها الخلفاء في العيدين ، زعم ذلك أبان (١) (٢) .  
و لقد تحدث ابن هشام عن قصة حضور كعب بن زهير إلى المدينة و إنشاده مدحته للنبي ﷺ كاسيق ذكره ، و قال في آخر كلامه عنه رواية عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قادة :

« فلما قال كعب : « إذا عرد السود التاييل » ، و إنما يريدنا عشر الأنصار لما كان صاحبنا صنع به ما صنع (٣) ، و خص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله ﷺ بمدحه ، غضبت عليه الأنصار ، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ، و يذكر بلاهم مع رسول الله ﷺ ، و موضعهم من اليمن .

من سره كرم الحياة فلا يزلي في منقب من صالح الأنصار (٤)  
ورثوا المكارم كابراً عن كابر إن الخيار هم بنو الأخيار  
المكرهين السمرى بأذرع كاجر غير كليلة الأبار  
و الناظرين بأعين محمرة لilot يوم تعانق و كرار لنفهم نفوسهم (٥)

(١) هو أبان بن عثمان البجلي .

(٢) طبقات خول الشعراة لابن سلام الجمحي ص ٨٣-٨٧ .

(٣) إشارة إلى رجل من الأنصار كان قد وثب عليه حينما قال لرسول الله ﷺ « أنا يارسول الله كعب بن زهير ، و قال ذلك الرجل الأنصارى : يارسول الله : دعني و عدو الله أضرب عنقه » .

(٤) المنقب : الجماعة من الخيل ، يزيد به القوم على ظهور جيادهم .

(٥) السمرى : الرمح ، و سوالف الهندى : يزيد حواشى السيف ، وقد يراد به الرماح أيضاً ، لأنها قد تنسب إلى الهند .

كعب بن زهير بن أبي سلمى

في الغر من غسان من جوثوة أعيدت محافرها على المغار  
قال ابن هشام : و يقال إن رسول الله ﷺ قال له حين أنسده « بانت  
سعاد فقلياليوم متول » : لو لا ذكرت الانصار بخير ، فانهم لذلك أهل ، فقال  
كعب هذه الآيات ، وهي في قصيدة له .

قال ابن هشام : و ذكر لي عن علي بن زيد بن جدعان أنه قال :  
أنشد كعب بن زهير رسول الله ﷺ في المسجد :  
« بانت سعاد فقلياليوم متول (١) »

و قال إبراهيم : حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان عن أبيه ، قال عنى كعب  
ابن زهير بقوله :  
« في قيبة من قريش قال قاتلهم ،  
عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٢) . »

من أعلام الإسلام :

عمر بن الخطاب

بعلم : الأستاذ واصف عبد الحليم عبد الله

إنه الفاروق عمر بن الخطاب الذي أحبه الرسول ﷺ وجعله إلى جواره ، فتأثر  
بأخلاقات الجيب المصطفى ، فسار على دربه و تعاليمه وأسدى إلى الناس أخلاقه ،  
فتح الأماء و كشف الغمة .

و من الأشياء الجميلة الحلوة القوية الناصعة ما قبل إن عمر بن الخطاب كان  
قوياً لا يخشى في الحق لومة لأنم ، أتى رجل إلى رسول الله ﷺ من اليهود وقال  
للرسول ﷺ يا بني عبد المطلب إنكم قوم ماطلون أى لاتدفعون الحقوق ، فقام عمر  
و أراد أن يضرب الرجل بسيفه ، خاف الرجل و جبن لو لا تدخل الرسول ، وأسلم  
اليهودي على يدي الرسول بعد ذلك .

عمر و خالد بن الوليد :

كتب عمر بن الخطاب أنه لم يعزل خالد بن الوليد سيف الله المسؤول الذي  
سله على الكفار لالرشوة أو سخطة أو خيانة ، وقال خالد يوماً « ما عزلتك عن  
ريبة فيك و لكن افتتن الناس بك خشيت أن تفتتن الناس » ، صدق يا عمر  
بابي و أمي طبت ميتاً و طبت حياً .

و لقد نذكر أن المسلمين في يوم ما انصرفوا عن ابن مسعود في وجود خالد  
ابن الوليد ، ولكن أيضاً لا ننسى قول عمر في هذا المضمار « إنما قتلة للتبع  
و دلة للتابع » .

أصل عطلة الخميس و الجمعة في معظم البلدان الإسلامية :

قال صاحب ( أسد الغابة ) في ترجمة التقييم بن خراش بتصريف « لما خرج أمير المؤمنين عمر إلى الشام وغاب عن المدينة شهراً استوحش إليه الناس أى أحسوا بشوق إلى الأمير العادل ، وخرج غلام المكتب للقائه ، وكان عمر قد بدأ جمع الغلستان في مكتبة ليعدهم » عاصم بن عبد الحزاعي ، بالتعليم و يتلقى رزقاً على ذلك من بيت المال ، نفرجوا مسيرة من المدينة وكان ذلك يوم الخميس وقد انقطعوا عن المكتب يومين أجازهما عمر و كان بعد ذلك عادة متبعه ، و نعمت العادة إذا أخذها أبناؤها للصلاة و للرياضة النافعة .

 كانوا يعرفون عمر :

حينما دخل معاوية الشام وجد أمه هند بنت عتبة و كذلك أبوه أبو سيفان فوجدهما يعرفون عمر و يعرفون قدره ، وغيرهم من السباقين للإسلام الذين يعرفون عمر بحسن التوجيه و صادق الخلق .

و لقد ذكر عن عمر بن الخطاب عن ابن قيم الجوزية في الطرق الحكيمه عن الليث أن عمر بن الخطاب حرق بيت رويسد الثقفي لأنه كان يبيع الخمر و قال له: أنت فويسق و لست برويسد، رحمة الله يا إمام المسلمين و قائد جيئهم في الإمام ضد الأعداء أعداء الدين وأعداء الله، لعل ذكرك تجعلنا كامة مسلمة تمسك بصفاتك وبحسن توجيهاتك ، فقد كنت على مستوى المسؤولية بما لا يدع مجالاً لشك أو طريقة لانسان ليقال من شأنك رحمة الله و جعلك في أعلى علية ، وندعو الله أن تسير الأمة الإسلامية على دربك و حميد صفاتك .

عمر بن الخطاب
إنصاف خالد لعمر و مدحه إيماه :

دخل الصحابي الجليل أبو الدرداء على خالد بن الوليد في مرضه مرض الموت ، فقال له خالد : يا أبا الدرداء لن مات لترى أموراً تذكرها ، فقال أبو الدرداء : وأنا و الله أرى ذلك ، فقال خالد : كنت وجدت عليه في نفسى في نفسى في أمور لما تذكريها في مرضي هذا و حضرني من الله حاضر عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل ، وجدت عليه في نفسى حين بعث إلى من يقاسمي مالى حتى أخذ فرد نعل و أخذت فرد نعل ، فإذا به غيري من أهل السابق ومن شهد بدرأ ، وكان يغاظ على و كانت غلظته على غيري نحوها من غلظته على .

كان عمر رجلاً معقد الأمل و مناط الرجال :

كان أمير المؤمنين عمر رحمة الله و جعل الجنة مثواه يأمر الأمر واضحًا جلياً ليس فيه شك ولا خلاف ، وما يقال في هذا المجال المثل الذي نقدمه من « مروج الذهب » لسعودي .

بعث أمير المؤمنين — عمر — إلى الكوفة عمار بن ياسر أميراً ، وعثمان ابن حنيف على الحزاج ، وعبد الله بن مسعود على بيت المال ، وأمره أن يعلم الناس القرآن ويفقهم في الدين ، وفرض لهم في كل يوم شاة بجعل شطرها و سواقطها لعمار بن ياسر ، والشطر الآخر لعبد الله بن مسعود و عثمان بن حنيف .

إن الفاروق عمر فقد أحسن الرأى في اختيار القادة لما يحسنون من أعمال تناط بهم فيها أكثر من غيرهم ، وكم كان عمر بصيراً حينما سلم ابن مسعود بيت المال إلى ابن مسعود ، وهذا هو الذي يرتل القرآن ويتلوه و يتبع ذلك هو ابن مسعود الذي شهد له الرسول عليه السلام و ضرب به المثل في القراءة و قال إنها مثل قراءة جبريل .

## المكتبات الإسلامية ودورها في الثقافة والتربيـة

الدكتور : محمد عبد الله المهدى البدرى  
جامعة الامارات العربية المتحدة

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على أشرف المسلمين ، سيدنا محمد  
عليه وصحبه ومن اهديه إلى يوم الدين ، وبعد !  
فإن من أبرز الظواهر في حياة أمتنا و من أبرز المعلم في تاريخها : ظاهرة  
الكتاب ، تلك الظاهرة التي كانت بعد ظاهرة القراءة أثراً من آثار ظاهرة الوحي  
بالقرآن الكريم .

فمنذ تلقت هذه الأمة البدوية الأمية أول نصوص هذا الوحي الإلهي مصدراً  
بالأمر بالقراءة في قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من عرق ،  
اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ) (١) .  
منذ ذلك انتشرت ظاهرة القراءة بصورة عامة بين الرجال والنساء والولدان ،  
وفي المسجد وفي البيت وفي كل مكان ، حتى كان يسمع للبيوت دوى كدوى التحل .  
وأعقب ذلك الاقبال على تعلم الخط و الكتابة بصورة أخذت تنمو وتزداد  
بين الكبار والصغار بحيث انتقلت من مستوى الأفراد إلى مستوى المجموعات فافتتحت  
الكتاب ، و انقطع لها المتعلمون وأوقفت عليهما الأموال .

و لقد كان ذلك و ما أعقبه من توسيع و انتشار و نمو و ازدهار استجابة  
طيبة لهذا الوحي الرباني الذي ابتدأ بالأمر بالقراءة ، و نوه بشرف القلم إلى درجة  
القسم به في قوله تعالى : (ن و القلم وما يسطرون ) (١) . ورفع من شأن  
العلم و العلماء حتى جعلهم أعرف الناس بربهم فقال تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) (٢) ، وكرر مادة العلم عدة مئات من المرات ، وسيجي ذلك الوحي  
قرآناً و كتاباً بل أسماء ، القرآن ، الكتاب ، وكرر مادة ، كتب ، أكثر  
من مائة مرة .

ولعل مما تجدر الاشارة إليه أن كلاً من مادة ، قرأ ، ومادة ، كتب ، تدل  
على الجماع و الحفظ ، فكانت الأولى وسيلة الحفظ والجماع في الصدور ، وكانت الثانية  
وسيلة التسجيل و الجماع في السطور ، و لعله قد سبق في علم الله و حكمته أن  
تكون الوسائلتان مصداقاً لتحقيق و عده سبحانه : « إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا هُمْ  
الحافظون » (٣) .

صبت ظاهرة الوحي حياة الأمة بصبغتها ، و تلتها ظاهرة القراءة ثم ظاهرة  
الكتاب حين تجسد ذلك الوحي المقرؤ في صورة كتاب بين دفتين ، شهد الملا  
المقربون من البشر ، شهدوا مكتوبًا كما شهدوا من قبل مقرؤوا ، لم يتغير منه شيء  
في كلتا حالتيه ، فكان كما شهد الملا المقربون من الملائكة .

ومن روح هذا الوحي المقرؤ المكتوب المطبق في حياة الأمة ، القائم في واقع  
الناس ، برزت علوم و أحكام و قرائع تلقاها الناس علماً و تعلماً و تعليمياً ثم دونت  
هذه العلوم والأحكام و القواعد ، فكان من هذا التدوين كتب وأسفار كلها موصولة  
النسب بالكتاب الأول ، بالقرآن الكريم .

(١) سورة ن آية : ١ . (٢) سورة فاطر : ٢٨ . (٣) سورة الحجر : ٩ .

أخذ الكتاب امتداده في جوانب متعددة من حياة الناس حتى لكانه كائن حي يعيشهم ، و يشار لهم حياتهم فأصبح وجوده في حياة البعض تديناً و تعبداً ، وفي حياة بعض آخر تقليداً و تفخراً ، وأصبح له في البيوت مكان خاص كما أصبح له في المجتمع دار بل دور خاصة ، و وجد له من بين الناس أصدقاء بل عشاق و محبون أشادوا به و تغنو مدحه :

ما عرف الحقد أو درى الغضبا  
لـ صاحب لا أمل صحبه  
و أجتنى العلم منه و الأدبـا  
إن غبت عنه يظل يخلص لـ  
يلغ أولـو الفضل هذه الرتبـا



هـ جـلـسـاءـ ماـ نـهـلـ حـدـيـثـهـمـ  
إـذـاـ مـاـ خـلـونـاـ كـانـ خـيـرـ حـدـيـثـهـمـ  
يـفـيدـوـنـاـ مـنـ عـلـمـ مـاـ مـضـىـ  
فـلـ رـيـةـ تـخـشـىـ وـ لـاـ سـوـءـ عـشـرـةـ  
فـاـنـ قـلـتـ :ـ أـمـوـاتـ فـلـسـتـ بـكـاذـبـ  
وـ كـانـ الـبـاحـظـ -ـ يـرـحـمـهـ اللـهـ -ـ فـ مـقـدـمـةـ الـذـينـ هـامـواـ بـالـكـتـبـ حـبـاـ ،ـ وـ تـغـنـواـ  
بـاـ فـيـهاـ مـنـ عـلـمـ وـ أـدـبـ ،ـ لـدـرـجـةـ أـنـهـ مـاتـ شـهـيدـاـ لـهـذـاـ الـحـبـ حـيـنـ سـقـطـتـ عـلـىـ رـأـسـهـ  
وـ هـوـ نـائـمـ فـقـتـلـهـ .ـ

وـ الـمـتـبـنيـ أـيـضاـ يـغـنـيـ فـيـقـولـ :

أـعـزـ مـكـانـ فـيـ الدـنـيـاـ سـرـجـ سـاجـ  
وـ خـيـرـ جـلـيسـ فـيـ الزـمـانـ كـتـابـ  
وـ عـلـىـ صـبـدـ الـعـرـفـ الـاجـتـمـاعـيـ وـ التـقـلـيدـ وـ الـافـخـارـ أـصـبـحـ لـكـتـبـ رـكـنـ فـيـ  
كـلـ دـارـ -ـ أـيـ المـكـتبـ الـخـاصـةـ -ـ وـ فـيـ ذـلـكـ طـرـاـفـ وـ نـوـادـرـ مـنـهـ أـنـ أـحـدـ طـلـابـ

العلم أراد شراء كتاب فوجد رجلاً ينافسه في شرائه و يغلى في ثمنه فلما استوضحه عن شخصه وجده أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، فلما سأله عن سبب منافسته في شراء الكتاب قال : إن عنده في مكتبة بيته مكاناً على قدر هذا الكتاب .

و على صعيد المجتمع وجدت المكتبات العامة ، و قد أخذت هذه المكتبات صورتها المتكاملة منذ العصر الأول للإسلام حيث تحدثنـا الروايات أن معاوية رضوان الله عليه - قد أقام داراً للكتب وجعل فيها حجرات للدراسة وحجرات للراحة والمبيت ، و أخرى للترويح عن النفس من تعب الدراسة ، وعلى منوال معاوية نسج كثير من الموسرين في عصره ومن بعد عصره .

و من هذا أصبح للكتاب حساب في فن العمارة حيث وضعت الموصفات لبناء المكتبات ، منزلة كانت أو عامة و من هذا الموصفات ما تحدثنـا به الروايات عن المكتبات القديمة .

ينقل الدكتور أحمد شلبي (١) عن O'ga Pinto في مقال له عن المكتبات الإسلامية يقول : إن المسلمين اهتموا اهتماماً عظيماً بأبنية المكتبات العامة التي كانت تعد لاستقبال الجماهير ، وقد شيد بناء خاص على طراز معين لمكتبات شيراز وقرطبة و القاهرة و ما ماثلها ، وكانت الأبنية مزودة بحجرات متعددة يربط بينها أروقة فسيحة ، وكانت الرفوف تثبت بجوار الجدران لتوضع فيها الكتب ، وبعض الأروقة كان يخصص للاطلاع ، كما كانت تخصص بعض الحجرات للنسخ ، و بعض حلقات بما فيها من علم وأدب ، لدرجة أنه مات شهيداً لهذا الحب حين سقطت على رأسه وهو نائم فقتلته .

فرشت أرضها بالبسط و الحصير لتلائم أذواق الشرقيين الذين كانوا يميلون إلى الجلوس على الأرض مقاطعة أرجلهم للقراءة و الكتابة .

(١) التربية الإسلامية .

وكان الابواب والنوافذ ستائر جليلة ، أما مدخل المكتبة فقد كانت له ستارة سميكة تحول دون دخول الهواء البارد في الشتاء إلى داخل الحجرات .  
ويقول المقريزى في خطبه : إن دار الحكمة في القاهرة لم تفتح أبوابها للجماهير إلا بعد أن فرشت و زخرفت وعلقت على جميع أبوابها و مراتها السطور ، وأقيم قوام و خدام و فراشون و غيرهم و رسما بخدمتها .

و كان البناء الخصص لكتبة الفاطميين عظيما جداً ، إذ كانت عدة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم أربعين خزانة تتسع الواحدة منها لأن يوضع بها ١٨٠٠٠ ثمانية عشر ألف كتاب .

وفي وصف المقدسى (١) لكتبة عضد الدولة في شيراز يقول : و المكتبة أزج ، - أى به أوليون - طويل في صفة كبيرة فيها خزائن من كل وجه .  
و قد أصفت إلى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوت طولها قامة في عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوق عليها أبواب تتحدر من فوق و الدفاتر منضدة على الرفوف ، لكل نوع بيوت ، ولكن نوع من الكتب فهارس فيها عنوانين الكتب ، وفي هذا المجال تتواءر الروايات و الأخبار ، كلها يذكر ما كان للكتابات الإسلامية من نظام و شأن في خدمة طلاب العلم والمعرفة ، و كان ذلك من آثار التنافس في هذا الميدان بحيث وجد في كل بيت مكتبة تتناسب وقدرة صاحبه ، وفي كل مجتمع أكثر من مكتبة و في كل مدينة و في كل عصر ، و سجل التاريخ تلك الأسماء اللامعة للكتابات مثل : مكتبة عضد الدولة في شيراز ، مكتبة السامانيين في بخارى ، الناظمية في بغداد ، و المستنصرية في بغداد ، و دار الحكمة في القاهرة ، و مكتبة الحكم في الأندلس ، وغيرها كثير من مكتبات الأشخاص و القصور .

(١) أحسن التقاسيم ص ٤٤٩ .

وقد قامت المكتبات الإسلامية - التي أخذنا إلى طرف من أوضاعها - قامت برجالها عبر التاريخ سواء في تخريج العلماء ، و تربية الأفراد ، أو تغيير الاتجاهات الفكرية و الثقافية والحضارية وتحديد مسارها ، فما من علم من أعلام الفكر والمعرفة إلا وقد تتلمذ حتى تخرج على مكتبة أو أكثر من هذه المكتبات .

هذا وقد أجمع المؤرخون - إلا من كابر - على أن مكتبات الأندلس الإسلامية و ما كان بها من مدارس و حلقات علمية كانت هي المدارس التي أضاعت لأوربا طريق النهضة الحديثة ، و ما عرف المسلمين كثان العلم ولا حجبه عن طالبه ولا يخلوا به على أحد ، بل بذلوه للبشرية جمعياً حتى كان من طلاب الأندلس قسس و رهبان من أبناء الكنائس الأوروبية .

و إذا كانت هذه دلالة التاريخ ، فإن دلالة الحاضر غير ذلك ، فقد تأولت أوربا الشعلة ثم سبقت أصحابها ، بل وبخلت عليهم بالكثير من نورها و علمها على عكس ما كان من أسلافنا .

و لكن منطق العصر لا يعرف الانطواء ، و لا يقبل الانزواء ، و علينا أن نخلق إلى ما وصلوا و أن نسير غور ما صنعوا ، لا مقلدين ، فإن المقلد يظل تابعاً أبداً ، و إنما محصلين و متعلمين و منافسين حتى ، نستطيع أن نكون - على الأقل - متساوين إن لم نستطع أن نكون سابقين .

و لا شك أن الحضارة الحديثة قد صبعت المكتاب بصبغتها ، فأصبح للكتابات علم و فن يتناول كل ما يتعلق بها من بناء و تنظيم و توظيف و تزويد و تصنيف ، حتى تكون على كفاءة في أداء رسالتها الحضارية .

و إذا كانت الوسائل و الآلات تسيرها و تحددها المقاصد و الغايات ، فاتا ولا شك في حاجة إلى اقتباس كل ما هو من قبل الوسائل و الآلات ، لجعلها بدورنا في خدمة مقاصدنا و غاياتنا .



يكون في المكتبة الأركان المناسبة لكل مستوى من مستويات أبنائنا من حيث الاعمار و من حيث الثقافات ، و من حيث الهوايات و الاهتمامات و التخصصات .

إن دحول الملائكة كادة أساسية ضمن مواد الدراسة في مدارسنا يعتبر من أهم الوسائل وألزمها في التربية ، حيث تصبح عنصراً من عناصر التربية الرسمية التي تشكل ثقافات الأجيال و شخصياتهم و تؤثر فيما بعد في انتاجهم و وظائفهم ، كما تؤثر في المجموع العام في مستوى الأداء و الدخل القومي عامه .

ويطلب هذا وضع المنهج المناسب والفعال لكيفية استعمال المكتبة والاستفادة منها سواء في الزيارة الواحدة أو الزيارات المتكررة ، وأخلاقيات السلوك المكتبي ، وكيفية استخدام الكتاب و التعامل معه كصديق رفيق و احترام وجود الآخرين ، ولا يخفى ما يتطلبه ذلك أيضاً من اعداد و ايجاد أمين المكتبة و المعلم الذي يتمتع هذا لكون قادراً على العطاء فيه .

إن اسم المكتبة دائماً يوحى على البداهة بأنها مكان للقارئين فحسب ، فهل فكرنا في أن يكون للأميين الذين لا يعرفون القراءة و لا الكتابة مكان في مكتباتنا ، خاصة و نحن مصابون في عصرنا بنسمة عالة من الأمة ؟

إن ذلك قد يتحقق ولا شك عن طريق ما ألمحت إليه قبلًا من ضرورة وجود الوسائل السمعية والبصرية، و توفير المواد الجيدة لها ، هذا علاوة على ما وجد الآن من وسائل كثيرة لتعليم القراءة والكتابة ذاتيا، فيتحقق بذلك هدفان ،

تعلم القراءة و الكتابة ، و تعلم ما يكون من أخلاق أو مبادئ و أحكام معينة .  
إن للقدوة والأسوة في التربية شأن ، و لها في ديننا كذلك نفس القدر وأكبر .  
ولذا كان موظفو المكتبة من أهم العناصر التي يجب الالتفات إلى نوعيتها و حسن  
اختيارها و جودة اعدادها .

و لا تنس ما ألحنا إليه قبلا من أن أمياء مكتباتنا قد يما كانوا من خيرة العلماء  
— ( ٨٣ ) —

كما أنه لا شك في أن مقاصدنا و غاياتنا من مكتبة اتنا تختلف بل قد تتعارض  
و المفهوم الحضارى الغربى ، الشئ الذى يحتم علينا ضرورة الاستقلالية و رفض  
التبعة حتى نستطيع تخرج الأجيال المسلمة و العلیاء المسلمين عن طريق هنجرية إسلامية  
و احياء ذات أصالة .

نحن بحاجة إلى مناشط وندوات وحفلات تتم في محيط المكتبة ، و يكون الكتاب ضمن برامجها أو احدى فقراتها ، تحبيباً للناشئة في هذا الصديق ، على أن يراعي في تلك المناشط ما وضعه شرعنا من حدود ، و فروق بين الشاب و الفتاة ، و هو شئ يتسلل إلينا فيه كثير المخاطر عن طريق ما تحتويه مسلسلات الكتب الأجنبية للصغار من اعتماد حياة ما يسمى بالبوي فريند أو الجيرل فريند ، أو القبلة بين الاثنين عند اللقاء أو الوداع .

نـحن بـحاجـة إـلـى تـزوـيد مـكـتبـاتـنا بـالـوسـائـل السـمعـيـة وـالـبـصـرـيـة عـلـى أـن تـخـتـار موـادـه طـبقـاً لـمـنهـجـة إـسـلاـمـيـة ، وـلـا أـظـنـ المـوـجـودـ منـ ذـالـكـ يـفـيـ بالـقـصـدـ عـاـيـحـتـمـ أـنـ تـتـضـافـرـ عـلـى ذـالـكـ جـهـودـ مـادـيـة وـمـعـنـوـيـة لـاـنـتـاجـ جـدـيدـ يـكـونـ منـ وـحـيـ إـسـلاـمـنـا ، وـأـفـيـاـ بـمـ هـدـفـ إـلـيـهـ فـيـ تـرـبـيـةـ أـبـنـائـنـاـ .

إن عقد المسابقات في الاطلاع والتلخيص ، والكتابة والتأليف يعتبر من الوسائل الفعالة في تحبيب المكتبة إلى زائرها على مختلف مستوياتهم وذلك يتطلب أن — ( ٨٢ ) —



هذا علاوة على ما يجب أن يكون عليه وضع المكتبة من حيث خامة البناء و لإنفائه و نظافته ، و من حيث موقعه في المدرسة و في المدينة ، ومن حيث وجود الحديقة و الأشجار و الأزهار ، و من حيث وجود مطعومات و مشروبات خفيفة مما اعتاد الناس تناولها لكسر حدة الجوع و العطش والكسل .

وليس بعيداً عن المكتبات الإسلامية في هذه الصورة المشرفة التي نرجوها لها أن تكون من خير وسائل الدعوة إلى الإسلام ، لأن من حيث تربية النشء المسلم فحسب بل من حيث تحبيب الناشئة غير المسلمين من أبناء الجاليات والمواطنين غير المسلمين ... تحبيبهم في الإسلام عن طريق دعوتهم إلى المكتبة و اشتراكهم مع أبنائنا المسلمين في نشاطاتها و ملاءتها و انخراطهم في السلوك العام لأنبائنا تحت إشراف المرشدين الواعين لرسالتهم .

و يتم ذلك عن طريق مكتبات الأحياء و المدارس و المؤسسات الإسلامية على اختلاف مستوياتها بتقديم العون أيضاً لكل دارس و لكل طالب علم ، و قد المخنا إلى أن ذلك كان شأن أسلافنا ، و كان سبباً لنهضة أوروبا في حضارتها الحديثة .

و ليس بخفى أن هذه الأمور التي ذكرتها و تناولتها آنفاً إنما هي على سيل المثال لا الحصر ، و لدى غيري كثير غيرها و أفضل منها ، وإنما هو دلوى أدلى به بين الدلام ، و إذا التقت الدلام على معين نصحت منه الخير الكبير ، و معين الإسلام - بحمد الله و فضله - ثروة و كثرة سخى ، و إذا التقت العقول و الآراء و اجتمعوا لهم و العزائم تدفعها التوابعا الطيبة و تحدوها المقاصد العليا ، حققت خيراً كثيراً .

و إننى لادعو هنا و هناك إلى أن يتواتر على هذا الأمر كل من أراد ابتعاد وجه الله من المؤلفين المسلمين والأغذاء المسلمين و الحكام المسلمين ، و كلهم - إن شاء الله - يبتغي وجه الله و يرجو رحمته ، كل حسب طاقته و مسؤوليته ، حتى بعد ساعة .

و الأدباء و المرشدين ، كما لا يخفي أن توقيت عمل المكتبة يجب أن يرتبط بمواقف الصلاة ، حيث يهضم الجميع للصلوة عند سماع الأذان ، و جبذا أن تجاور المكتبة المسجد أو تكون أحدى ملحقاته ، أو يلحق ببنائها مصلى ، حسب الامكانيات المتوفرة .

إن الوعي المكتبي من الأهداف التربوية التي يجب الحرص على تحقيقها ، ولذا فإن من الواجب غرس هذا الوعي لدى الناشئة ، بتشجيعهم على تكوين مكتبات خاصة لهم في ركن من أركان يومتهم أو حتى في غرفهم الخاصة ، و امتداداً لذلك تشجيع هذا الوعي ليصبح عادة أو عرفاً اجتماعياً يؤدي إلى تكوين مكتبات البيوت كغرف أساسية من غرف البيت مثل غرف النوم و غرفة الطعام والجلوس وغيرها .

و من الوسائل المشجعة في ذلك إثارة روح التنافس بين صفوف المدرسة الواحدة ، وكذلك إقامة معارض للكتاب يعرض فيها الأفراد بجموعاتهم من الكتب .

إن إقامة المعارض الدورية للكتب من أهم الوسائل المشجعة على شراء الكتاب و اقتنائه ، و إذا أحسن استغلال فترة المعرض في عرض آخر ما ألف إلى جوار إقامة بعض الندوات و المحاضرات للاقاء الضوء على الحركة العلمية و الفكرية كان ذلك محصلة تربوية جيدة .

ومن وسائل تحويل الاهتمام إلى الكتاب أن نجعل منه هدية مناسبة في المناسبات التي تعود الناس أن يهادوا فيها كالافراح و الأعياد ، و النجاح في الامتحان ، و المكافأة على السلوك الحسن لدى الناشئة و المجازاة على المعروف وغيرها .

ولا شك أن من وسائل الجذب إلى الكتاب ما تتضمنه المكتبة من وسائل الترويج الأخرى عن النفس حين تمل النفس من المطالعة وهو أمر فطن إليه أسلافنا

من قبل تحقيقه في مكتباتهم ، وصدق الصحابي رضي الله عنه حين قال : «كان رسول الله عليه السلام يتحول بالموعظة مخافة السامة علينا » ، و في الآخر « روحوا النفوس ساعة

- ( ٨٤ ) -



العدد ١٠ - المجلد ٢٨ — رجب ١٤٠٤ هـ

يجب اتخاذ أبطال القصص من الشخصيات الإسلامية ، و بعد عن القصص الخرافى أو الأسطورى ، إلا فى المرحلة التي يحتاج الطفل فيها إلى الخيال .

يصدر الكتاب بمقدمة وافية دون استطراد بحيث تتناول أمرين ، هما: موضوع الكتاب ، ثم تعريف بطريقة المؤلف في علاج هذه الموضوعات ، يتبع المادة تحت عناوين رئيسية من داخلها عناوين فرعية ، لا تذكر النصوص دون تحقيق ، ولا الاقتباس دون إشارة إلى المصدر .

### في الماضي عبرة للحاضر وعدة للمستقبل

و إذا كانت صورة الماضي التليد تدفع الحاضر الوئيد إلى مستقبل مجيد فانى أعود لأصل أواخر كلامى بأوانه ، كما قال الأولون في حسن رد العجز على الصدر ، فاذكر صورة موجزة عما توافرت المصادر على ذكره من مكتباتنا العامة و الخاصة (١) .

من أشهر هذه المكتبات : مكتبة الخلفاء الفاطميين في القاهرة ، وكانت تحوّز كائفاً إلى العناصر التفصيلية ، ثم يقدم التفصيل على هدى من هذا الضوء العام ، ثم يختتم الموضوع بخلاصة مركزة لما تستهدفه هذه الدراسة .

**مكتبة دار الحكمة بالقاهرة :** أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي وافتتحت في ١٠ من جمادى الآخرة سنة ٥٣٩ھ بعد أن فرشت وزخرفت ، وعلقت الكتب الأخرى لتنضافر الكتب كلها على هدف واحد .

إذا كان الكتاب يمثل حلقة في سلسلة من الكتب ، فلا بد أن يبدأ بما يربط القارئ و يذكره بما سبق ، وأن ينتهي بما يهدى لما يلحق .

لا تذكر النظريات العلمية المخالفة للأفهوم الإسلامي إلا مصحوبة بالتحليل والنقد في غير تكلف أو معالجة بل في موضوعية هادئة .

يتوافر الكتاب الإسلامي الحاوی لأدب الإسلام عقيدة و شريعة و سلوكاً ابتداء من أدب الأطفال و مسلسلاته و حتى كتب الموسوعات والأمميات ودوائر المعارف .

### مواصفات الكتاب

اعتماد العاملون في حقل المناهج و الكتب أن يذكروا للكتاب مواصفات يلتزمها كل من المؤلف و الطابع علاوة على واضح المنهج ، و يرون في تتحقق هذه المواصفات تحقيقاً لجودة الكتاب سواء من حيث الشكل و من حيث المضمون . و تأثيراً بعملي في هذا الميدان سنوات لا أرى بأساً — بل أرى فائدة — من ذكرها هنا و لو على سبيل التذكرة .

أن تكون لغة الكتاب — مهما تكون المادة التي يعرضها ، علمية كانت أو أدبية — لغة عربية سليمة من اللحن وبعيدة عن التعقيد ، لتكون واضحة المعانى ، قريبة من الأفهام ، و مناسبة لمستوى اللغوى للطالب و القارئ .

يراعى في عرض المادة أن يقدم إطار عام يحمل للموضوع أولاً ليكون ضوءاً كافياً إلى العناصر التفصيلية ، ثم يقدم التفصيل على هدى من هذا الضوء العام ، ثم يختتم الموضوع بخلاصة مركزة لما تستهدفه هذه الدراسة .

يشترط في الحقائق و النظريات العلمية التي يقدمها الكتاب أن تكون صحيحة في ذاتها ، غير متعارضة مع نصوص الشرع أو روحه ، وأن يتونح المؤلف في عرضها أسلوباً مبسطاً ملائماً لمستوى القارئين ، مدعماً أسلوبه بأمثلة تربطه بواقع البيئة والحياة الاجتماعية ما أمكن ، وفي الإطار المدرسي يراعى الترابط بين مادة الكتاب ومواد الكتب الأخرى لتنضافر الكتب كلها على هدف واحد .

(١) من رواجع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعى .

- ( ٨٦ ) -

و تحدث الروايات بالعجب عن كثير من المكتبات الخاصة ، و التي كان لها في التاريخ ذكر يضاهي ذكر المكتبات العامة ، و قد وجد هذا النوع من المكتبات في مختلف بلاد العالم الإسلامي ، و بذر من العلماء أو الوجهاء من لم يكن له مكتبة ، و من هذه المكتبات .

**مكتبة الفتح بن خاقان سنة ٥٢٤٣ هـ** : وكانت ذات اتساع وظام ، وقد عهد بجمعها إلى رجل من خيرة رجال عصره علماً وأدباً، هو على بن يحيى المنجم جمع له فيها من كتب الحكمة ما لم يجتمع في مكتبة أحد في عصره .

**مكتبة ابن الخشاب سنة ٥٦٧ هـ** : و كان أعلم الناس بال نحو ، و له دراية بالتفسير و الحديث و المنطق و الفلسفة ، و كان مولعاً بالكتب إلى حد الشره ، مما حمله على أن يسلك في الحصول عليها طرقاً غير محمودة .

**مكتبة جمال الدين القفطى سنة ٥٦٤٦ هـ** : و كان لا يجب من الدنيا شيئاً أكثر من الكتب ، فأوقف نفسه على جمعها ، جمع في مكتبه نفسها وأغلاها وأندرها ، و رفض أن يتزوج حتى لا يشغله الأهل والأولاد عنها ، و قد أوصى بها من بعده لأحد أصدقائه .

**مكتبة بني جرادة في حلب** : و كانوا أهل علم و أدب ، حتى أن أحدهم وهو أبو الحسن بن أبي جرادة سنة ٥٤٨ كتب بخطه من الكتب النفيسة ثلاث خزان .

**مكتبة الموفق بن المطران الدمشقى سنة ٥٥٨٧ هـ** : و كانت له همة عالية في تحصيل الكتب ، حتى جمع منها عشرة آلاف مجلد ، و كان عنده في المكتبة ثلاثة من الفساح منقطعون لمكتبه على نفقته ولأنه كان الفخر والاعتزاز يعرونا و نحن نستعرض هذا الماضي المجيد في عالم العلم و الأدب و الكتب و المكتبات ، فإن سؤالاً يقفز إلى الأذهان عن مصير هذه المكتبات و ما كان فيها من نفائس .

و منهم من يحضر لنسخ ، و منهم من يحضر للتعلم ، و كان فيها كل ما يحتاج إليه من الحبر و المحابر و الورق و الأقلام .

**مكتبة بيت الحكمة في بغداد** : أنشأها الخليفة هارون الرشيد - رضي الله عنه - و بلغت ذروة مجدها في عصر المؤمن - رضي الله عنه - و كانت أشبه بجامعة فيها كتب ، يجتمع فيها العلماء يتحاورون و يطالعون و ينسخون ، و كان فيها نساخ و مترجمون يترجمون ما كان يحصل عليه الرشيد و المؤمن من الفتوحات في أرض الروم في أنقرة و عمورية ، و قبرص و غيرها .

و يحدثنابن النديم أن المؤمن كانت بينه وبين ملك الروم مراسلات و قد اشترط المؤمن أن ينص في وثيقة الصلح بينهما أن يضع ملك الروم ما في خزانته من الكتب تحت يدي المترجمين الذين يرسلهم المؤمن ليقوموا بترجمتها ففعل .

و لعل التاريخ لم يسجل أعظم من هذا الشرط ثناً للصلح يحصل عليه ملك منتظر يقدمه لأمه .

**مكتبة الحكم بالأندلس** : كانت غاية في العظمة و الاتساع حتى قيل : إنها بلغت أربعين ألف مجلد ، و كانت لها فهارس غاية في الدقة و النظام حتى أثر الفهرس الخاص بدوافين الشعر الموجودة فيها بلغت أربعة وأربعين جزءاً ، و كان فيها الحذاق من النساجين ، و المهرة من المجلدين .

**مكتبة بن عمار في طرابلس** : كانت آية من آيات العظمة والضخامة ، وكان فيها مائة و ثمانون نسخاً يتداولون العمل ليلاً ونهاراً حتى لا ينقطع العمل في نسخ الكتب ، و كان بنو عمار يحرصون على تزويد مكتبيتهم بكل نادر أو جديد من الكتب ، و وظفوا لذلك تجاراً متخصصين في جلب الكتب من البلدان و الأقطار ، وقد ذكرها المعري في كتبه ، و ذكر استفادته منها ، و أعدل الأقوال أنها كانت تحوى مليون كتاب .



## صور وأوضاع :

### حضارة تختضر

واضح رشيد الندوى

تنسم كتابات كثيرة من المعالجين لمشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية بفقد الغرب والفلسفات والأفكار، والنظام الذي تسود العالم الإسلامي اليوم، وتعتبرها مسؤولة عن وجود الاضطراب الفكري والمتزق في مختلف أجزاءه، وهو اتجاه جديد ومشجع بحيث كونه فكراً شاملًا يشارك فيه المسلمين وغير المسلمين، ويدل على أن الوعي الجديد قد بدأ ينمو و يتسع ، وقد تعزز هذا الاتجاه باسلام عدد من المفكرين الغربيين و نقدم للحضارة الغربية وأحد هم رجاء جارودي، ولا شك أنه موقف سليم إذا لم يقترب بجل عمله ، ولكنه ناتج عن نتيجة طبيعية لفشل النظم التي غزت العالم الإسلامي بجراء الاستعمار في حل مشاكل الحياة ، فقد خضع المسلمين فكريًا و ثقافياً و تعليمياً و سياسياً للفكر الغربي لأكثر من قرن في كثير من بقاع العالم الإسلامي ، التي طبق فيها نظام الغرب الاقتصادي ، و درست في معاهدها للتعليم ، أفكاره المادية و قبلت عقول المثقفين هذه الأفكار ، و ساعدت الحكومات الاستعمارية من تولي الحكم من المواطنين بعد الحرية في نشر هذه الأفكار ، و منعت القوى الإسلامية من أن تفرض نفسها ، بل عزلت عن الحياة ، وجعلت مخصوصة في المدارس الإسلامية والمراكز الدينية ، وكل من تجرأ على نقد النظام الأسائد ، زج به إلى السجون ، وأطلقت الصحافة ووسائل الإعلام جميع سهامها عليه ، و شوهدت سمعته ، و أصقت به كل تهمة من الخيانة و الغدر ، و العمل لحساب الأعداء ، ومعاداة التقدم الحضاري ، ولكن رغم هذا الخضوع الكامل للفكر الغربي ،

و لكن التاريخ يحيب عن هذا التساؤل حزيناً كاسف البال ، حين يذكر لنا الكتابات التي حلت بالعالم الإسلامي حين ضعف أهله وأترف بنوه ، فغزاه الأعداء من الهجج الذين لا يقيمون وزناً لعلم ولا حضارة ، فخطموا كل هذه الصرخة وخرروا الدبار ، وأشعلوا فيها النار ، فذهبت هذه الكنوز من الكتب ما بين حريق و غريق ألقى به في الأنهار ، و حرمت الإنسانية على يد هؤلاء من أثمن ما أنتجه عقل الإنسان .

فالنيل حين دخلوا بغداد ألقوا بالكتب في نهر دجلة حتى اصطحب ما فيه عبرت الحيوان على أكوام الكتب كأنها التراب ، وكذلك فعل الصليبيون في مكتبات طرابلس و المعرفة ، و عقلان و غزة و بيت المقدس وغيرها من المدن ، حتى أن بعض المؤرخين قدر ما أنفقه الصليبيون في طرابلس وحدها بثلاثة ملايين كتاب . وهكذا كان في الأندلس على يد الأسبان ، ولم يحفظوا هذه المكتبات مأسدته إلهم وإلى أوربا من نور و عرفان .

ولكننا لا نقف وقفه الحاقد ، بل نتعرف أن المكتبات الأولى الآن تضم كثيراً من تراثنا المزبور ، و علينا أن نهيب من غفوتنا لنكم مسيرة من سبقونا بالإيمان والتقيت منذ سنوات بأحد الأساتذة المستشرقين الإنجليز ، كنت قد درسته من قبل أن أراه ، ولما سأله عن وجهته ، أجاب بأنه ذاهب إلى اليمن للمرة الثالثة حيث يمكث هناك في كل مرة أكثر من شهرين ، يتبعه كما قال هو : كنوز المخطوطات العربية تصوّرها أو شرائها أو الحصول عليها بأى وسيلة ، فقلت في نفسي : سبحان الله هلا كان من أبناء الإسلام من يقوم بمثل هذا العمل .

وبعد ! بهذه لمحه موجزة وسريعة ، آمل أن يكون فيها ما يفيد في موضوع هذه الندوة المباركة إن شاء الله .

و على الله قصد السبيل ، وبه نستعين ، وهو نعم المولى ونعم النصير .



الحياة ، أو يرغم على أن يتكلم ، و يتصرف بطريق تخدم مصلحة سيده ، وقد كان من أسباب شقاء هذه الأمة أن وجد فيها مثل هذ الجيل من العبيد .

كان ذلك عصراً من عصور الخضوع العقلى للاستعمار الغربى ، وقد برع الغرب فيه بقوة علمية وقد عسكرية فهربت الفنوس ، ولكن من المؤسف أنه رغم اكتشاف هذه الحقيقة لازال هناك بقايا هذه العقول ، وإن شاخت و بلغت أرذل العمر ، فقدت تلك القوة و التأثير الذى كانت تملكها في عهد سطوة شمس الغرب فتردد ذلك المنطق القديم التافه ، الذى تحمله أحياناً الصحف ، أو يسمع صداه في بعض الدوائر ، و المناقشات العلمية ، أو تضممه كتب تصدر بأقلام بقايا ذلك الجيل ما فيه استخفاف بالدين و تنويه بالغرب و حضارته و طعن في الإسلام ، و تنقلب الصحف الإسلامية ، و تعبر عن سخطها و امتعاضها .

إنه في الواقع منطق غريب معزول ، بل ممزوج في هذا العصر الذي فضحت فيه أوربا بفلسفتها و نظمها في عقر دارها .

في بداية عهد الاستعمار كان الكتاب ينسبون كل تخلف و اضطراب في العالم الإسلامي إلى الجهلة و الفقر و التسلك بالقيم القديمة و الالتزام بالدين و الفكر الشرقي ، وكانوا يتشدقون بتجربة الغرب في تغيير الحياة ، واحراز التقدم ، ويدعون إلى محاكاته ، ولم يكن الغرب مجرباً ، فسحر هذا المنطق عقول كثير من المفتوحين ، وقد أتيحت لهذه الأفكار و النظم فرصة التطبيق ، و سخرت سائر الوسائل لشرها ، فغير نظام التعليم و نفذ القانون المدنس ، و طبعت سائر المناهج الغربية للحياة في الاقتصاد و الاجتماع و السياسة و المعاملات و عاشت أجيال في مراكز التربوية في الغرب ، وعادت إلى بلادها متغيرة كلّاً ، و عاش الدين خلال هذه الفترة في قفص الاتهام في بلاد وواجه الاعدام في بلاد ، وتمتنع النظم القائمة بكل حرابة و عقله ، و إنما يفكر من ذهن سيده ، و تبهر عيونه أخلاقى سيده ، و تصرفه في

و قبول نظام التعليم الغربي المادى ، وقبول ثقافته ، وقبول معيشته ، و تطوير الحياة حسب تخطيط الغرب ، رغم كل هذا التقليد و المحاكاة التي جرت طيلة هذه المدة التي شاب فيها الجيل الذي تلقى هذه الأفكار ، و قضى نحبه و خلفت أجيال جديدة نشأت كلّاً في ظل قيم جديدة للحياة و مقاييس جديدة ، لم يستطع العالم الإسلامي أن يكسب القوة و التقدم و الرخاء و الذكاء ، و الاستقلالية في الفكر و المعيشة المشرودة ، سوى ما نستطيع أن نصفه بلبس القبة مكان الطربوش والتألق في المعيشة ، و التظاهر كأرجل الغربى و التخلّى عن الآداب الشرقية .

لقد حدث تغير و تطور بهذا المعنى ، فإن الأزياء تغيرت ، و خرجت المرأة من البيت متبرجة ، و تغيرت الأخلاق ، و أساليب الكلام ، و غابت طبيعة المحاكاة ، و تغيرت القيم و المظاهر ، ولكن هل يعتبر ذلك تقدماً حضارياً في الواقع ؟ وهل تعني الحضارة حكاكة أمة في الكلام والملابس و المأكل ، و كسب علومها أو فنونها ؟ إن الحضارة لا تعني المحاكاة و التقليد ، و إنما تعني التوسيع الفكري و المدنى والتحذب في السلوك ، و التقدم في الحياة بالالتزام المقاييس التي تتميز بها أمة عن غيرها من الأمم و الاحتفاظ بالشخصية و التراث ، أثناء الاكتساب و الاقتباس بروح تزامل وبدون نفسية الخضوع و الاتباع ، ولا تقصير في محاولة الابداع و البحث ، و بهذا الاعتبار إن قبول العلوم والأفكار لأمة منها بلغت في الرقي و التقدم بدون تطويرها و تعديلها ، و الإضافة إليها من الموارد العقلية المحلية ، لا يمكن أن يعتبر التقدم الحضاري ، لأن حكاكة حضارة لا توجد إلا في المغلوبين .

إن الذين دعوا إلى هذا التقليد في عهد غزو الحضارة الغربية إثر سيطرة الاستعمار ، إنما عبروا عن طبيعة العبيد الذي لا يستطيع أن يفكّر من ذهنه و عقله ، و إنما يفكر من ذهن سيده ، و تبهر عيونه أخلاقى سيده ، و تصرفه في

و سلطة لغير مجرى الحياة و نفذت خططها بذوق معارضه ، و قامت في كثير من البلدان نظم لا معارضه لها مخولة بسائر سلطات التنفيذ ، بصورة إستثنائية ، ولكن ماذا كسب العالم الاسلامي من هذا التطور و حماكة الغرب في هذه الفترة ؟ .

هل حق الانتقام الذاق في الغذاء مثلاً ، هل بدأ يصنع ما يحتاج إليه من السلع الاستهلاكية ، فضلاً عن الكاليلات ، و هل فتحت فيه مصانع الانتاج للعدادات الحرية ، فلا يحتاج إلى مساعدة الدول الغربية فيها ، وهل حق الاستقلال في نظام المواصلات ، و لا نعني به القمر الصناعي ، وإنما نقصد به التلفونات و الأسلاك و الكابلات ، فهي أيضاً تستورد ، حتى الأفران و معدات الطباعة ، و الآلات الكاتبة ، و القرطاس الجيد ، و الكتب المدرسية في العلوم العليا ، و الخبرة في كل مرافق الحياة يجري استيرادها ، إن العالم الاسلامي وفيه الدول المتحضرة التي نبذت كل قديم ، كمصر و سوريا وتركيا ، و دول متحررة ثائرة أخرى لا تزال تسير على خطى الدول الغربية ، وتستمد قوتها منها ، بل قوتها منها ، فما معنى الحضارة إذا ؟ وما هي مكاسب إقدام الغرب و اتباع نظامه في أعين وكلاته و عملائه في العالم الاسلامي ؟ فان سجل قيادتهم لا يحمل إلا مأسى و مهازل و تبشير لآباء الأولون .

إن مأسى العالم الاسلامي لن تنتهي إلا بمكافحة فكر إقدام الغرب ، وعزل المروجين له عن موقع النفوذ ، وقد حان الوقت لنفضح هؤلاء الكتاب الذين يتعمدون إلى جيل العيد فكريأ ، فقد أفسدوا كثيراً ، وهم أخطر من الغرب و قادته ، وهم أعداء الاسلام ، و أعداء العرب و أعداء بلادهم حقيقة ، و من أكثر عداوة و ظلماً من يحاول أن يخلق جيلاً من العيد و يعمل لحساب الأعداء ، لقد فضح الغرب في عقر داره ، إنه يواجه اليوم مشاكله المستعصية ، فان بريطانيا التي قادت

هذه الفضيحة ، فضيحة استعباد الأمم ، و استغلال العلم و القوة ، و تشويه الحقائق ، ثُن تحث وطأة مسائلها بخزي و عار و تكاد تلفظ أنفاسها الأخيرة ، و أمريكا تقع في ورطة إثرو رطة ، وروسيا بفشلها في الانتاج الزراعي و تطفليها على مائدة أوروبا الغربية ، وخيبة فلسفتها الاشتراكية في أهدافها والتخاص من المجاهدين في أفغانستان الذين اقتوها بجهادهم أن الإيمان أقوى من السلاح ، وستكشف الأيام القادمة عن مزيد من مهازل الدول الأوروبية المتحضرة ، وتبز علامات احتضارها وعندئذ تتلاشى تلك الأصوات المرتجة لعيده الحضارة الغربية ، و تتوقف تلك الأقلام .

لقد كان المؤمنون يدركون هذا المصير ، و يؤمنون بأن انتهاج هذا الطريق لا يجدى العالم الاسلامي ، وإنما يزيد مسئله ، و كانوا يقولون ذلك عن فراسة المؤمن و إيمانهم ، أما الذين يقولون ذلك الآن بعد هذه التجربة المريرة ، فلنهم يقولون بدراسة الواقع ، وأما الذين لا يزالون يرددون تلك الأفكار البالية رغم هذا الواقع المرير ، فهم من الذين لا يعقلون ، و سيعليمهم الدهر الذي يؤمنون به .

لقد دخلنا مرحلة الوعي والادراك ، و بدأنا نشعر بضلال القيادات الفكرية والثقافية المستسلمة للغرب ولكن لا يفوتنا أن الحياة سريعة الحركة ، فيجب أن ترافق هذا الشعور الذي يجد أنصاراً من الغرب نفسه مرحلة البناء من جديد على أسس فكرية وعقائدية صحيحة ، وأسس التجارب والخبرات ، فان مجرد التقد ينقض ، ولكن لا يبني .

## العلامة الأجنبية و الدعوة إلى الاسلام

كان إسلام القبائل المتخلفة والمضطهدة في الهند حادثاً مقلقاً لزعماء الأغلية الهندية و كان ذلك القلق و الفزع أمراً طبيعياً لهم ، و قد شكل زعماء الحركات الهندوسية و الحكومة التي واجهت الضغط الشديد من هذه الحركات ، جانباً للتحقيق ، و اتخذت خطوات لمنع هذه الاتجاه ، وكان لها بعض الأثر في وقف التيار أو تخفيف



و بفضل هذا الانقلاب أصبحت الأمم المختلفة التي دخلت في الإسلام أمة واحدة ، كأصابع اليد وأعضاء جسد واحد ، ليس له نظير في التاريخ .

حمل المسلمين رسالة المساواة ، و رسالة حرية الإنسان ، و خضوعه أمام رب واحد ، لا أرباب من دون الله . و أن الطاعة لله ولرسوله ، و لا طاعة لخلق في معصية الخالق ، و أن الخلق عباد الله ، و أثبتوا أنهم لا يريدون الملك وإنما يريدون أن تعلو كلمة الله ، وأن يدخل عباده في السلم كافة ، بدون إكراه ولا إغراء ، فانتشر الإسلام بهذه الدعوة الإنسانية في الهند وإندونيسيا ، والصين ، والبلاد التي كان سكانها يعبدون الأصنام المنحوة و يذلون رقابهم أمام بني جلدتهم ، من الكهنة ، والحكام ، والقطاعيين ، ورجال الطبقات العليا ، ويعيشون حياة العبيد ، وقد اتخذ بعض زعماء الأديان الأخرى لمنع هذا التدفق إلى الإسلام سياسة إبعاد أتباعهم عن المسلمين ، و منعهم من الاختلاط بهم لأن الإسلام يحمل تأثيراً تلقائياً اجتماعياً وحياة المسلم نفسها دعوة ، وتلقين تجذب إليه القلوب ، لأنها عبارة عن الزاهدة ، وسعة القلب ، و المروءة و التسامح ، والالتزام بالحقوق ، و العطف و الرحمة ، و السمو الفكري . و الترفع عن ملذات الحياة ، وطلب الأجر و المثوبة في كل عمل في خدمة الإنسان ، حتى إماتة الآذى عن الطريق ، و خدمة الحيوان ، كما جاء في الحديث الشريف في كل كبد حرى أجر ، و الخدمة بدون غرض مادي ، أعمال و أفكار لا يوجد لها تصور في المذاهب والأديان ، و الفلسفات الأخرى و تستغربها العقول المادية أن يكون عمل بدون مقابل .

إن هذا السلوك في أي شكل كان ، و بأي قدر كان في حياة المسلم لا يزال يجذب القلوب ، فلو وجد ذلك السلوك تمثيلاً كاملاً في حياة المسلم لائق بانقلاب في الحياة المعاصرة التي يشق فيها الإنسان ، فقد طفت المادية والأديان المحرفة على جبلة ، لأن العرب كانوا محبوين على العصبية القومية ، و على الانانية والنخوة ، و العصبية القبلية ، ولكن المعجزة ، معجزة تغيير الجبلة حدثت بفضل التربية النبوية ،

## صور وأوضاع

شذته ، و لكن تنقل الصحف الهندية بين فينة و أخرى أخبار اعتناق أعداد من رجال الطبقات المختلفة الإسلام ، ما يدل على أن هذا الاتجاه يستمر ، وهو بدون شك عنصر تفاؤل واستبشر لأتباع هذا الدين الحنيف الذين يحبون أن تكون كلمة الله هي العليا ، إذا كان بطيب النفس و الرضى ، بدون إكراه أو طلب نفع عاجل . وقد حاول الباحثون عن أسباب هذا التطور الذي كان ضد استراتيجيتهم و تحطيمهم في النظام التعليمي و الاقتصادي في البلاد أن يقدموا أسباباً له تقنع الأغلبية فقالوا : إن السبب الرئيسي هو الأغراء المالي ، و الأغراء بالوظائف في البلاد العربية ، إلا أن ينافس المسلمين الجدد تكشف بوضوح أنهم يسلون بحثاً عن السعادة الحقيقة أن ينافس المسلمين الجديد تكشف بوضوح أنهم يسلون بحثاً عن السعادة الحقيقة في الحياة و الشرف ، و المعاملة الإنسانية التي كانوا محروميين منها ، و أعلنوا أن كثيراً من مشاكلهم الاجتماعية حلت بمجرد دخولهم في حظيرة الإسلام ، و أن نظرة المذاك أنفسهم تغيرت عندهم ، فيعاملونهم خيراً معاملة ، لأنهم بدخولهم في الإسلام لم يعودوا منبوذين .

إنها بركة الإسلام ، رغم أن المسلمين أنفسهم بعدهم عن التعاليم الدينية ، لا يمثلون الإسلام الحقيقي في حياتهم الاجتماعية ، وتوجد فيهم فوارق لتأثيرهم بالبيئة وعدم تعميم التربية الإسلامية ، فإن الإسلام من أول يوم أعلن «كلكم من آدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

و قد كان سلوك الأولين يطابق هذا التصور كلياً ، فكان الأتقى منهم إمامهم ، و قائد़هم . و أميرهم ، و إن كان حبشاً ، وقد كان ذلك الانقلاب بمثابة انقلاب جبلة ، لأن العرب كانوا محبوين على العصبية القومية ، و على الانانية والنخوة ، و العصبية القبلية ، ولكن المعجزة ، معجزة تغيير الجبلة حدثت بفضل التربية النبوية ،

## الزعيم الاسلامي والصحافى الكبير الأمة - اذ صالح العشاوى

بعلم . فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوى  
عميد كلية اللغة العربية وآدابها في جامعة ندوة العلامة

توفي في مصر الزعيم الاسلامي والصحافى الكبير الأستاذ صالح العشاوى وبذلك  
رزقت الأمة الاسلامية العربية في شخصية لها كثيرة ، من شخصيات الدعوة الاسلامية  
والفكر الاسلامى للجيل الاسلامى العربى الحالى .

كان من أهم ميزات الأستاذ المرحوم هي الصحفة الاسلامية بل إنه كان من  
زعمائها وقادتها ، فقد أصدر صحيفة « الدعوة » كنبر صحفي للدعوة الاسلامية و الفكر  
الاسلامى ، كان المسلمين يسمعون منه صوت الحق وكلمة الاسلام المدوية ، وقضت  
الصحفة تحت إشرافه عمداً حافلاً بجهود الانعاش لروح العمل و الدعوة للإسلام في  
أحياء مصر و البلدان العربية ، حتى بلغت أضواء هذه الصحيفة إلى بلدان غير عربية  
و منها الهند ، و قادتها صحف إسلامية مختلفة في شتى البلدان ، ومنها صحفتنا « الرائد » ،  
فقد تأسست بأسوتها ، و قادتها في جوانب .

قضت صحيفة « الدعوة » مدة من الوقت كقدوة لعدد من الصحف الاسلامية  
العاملة لتربيه الجيل الاسلامي الصاعد على حب الاسلام والعمل الدعوي له .

وكانت جهود الأستاذ المغفور له هي التي اكتسبت الصحيفة هذه الميزة ، لما  
كان له من الكفاءة والبراعة فيها ، فقد كان يكتب بعلم مؤثر قوى يصدر منه الكلام  
مزداناً بالقوة والرشاقة والبيان و كانت افتتاحياته في الصحيفة تشهد بذلك .

لقد عاش المرحوم صالح العشاوى زمن اندلاع الثورة المصرية قبلها وبعدها ،  
و قد شاهد الظروف والتغيرات التي أدت إلى هذه الثورة وكانت الثورة في بداية  
أمرها سائرة في مجال الاصلاح والتغيير الحسن فرحب بها الاخوان و منهم المرحوم  
صالح العشاوى ، فقد رحب بها بافتتاحية قوية بلغة في صحيفة الدعوة كان عنوانها  
« جيش باسل وشعب عظيم » ، فما لا أزال أذكر وقع هذه الافتتاحية المؤثرة القوية  
بالعروة الوثقى لا انفصام لها و الله سميع عليم ، صدق الله العظيم .

الانسان و جعله عيداً للانسان ، و للعادات و الطقوس ، و التصورات ،  
و الأطماء و هو النفس .

إن هناك فرصة أوسع للدعوة الاسلامية في هذا العصر الذى يشق فيه الانسان ،  
وقد زالت فيه الحاجز بين مختلف البيئات و المجتمعات ، وبين الدول ، فينتقل سكان  
بلد إلى بلد آخر ، و يختلطون بأغلبية سكان ذلك البلد ، الذين يختلفون عنهم في  
الفن و الثقافة ، و المعيشة و منهج الحياة ، و تصورهم عن الانسان و سلوكهم  
معه ، فيمكن أن يجد أحد سلعته المفقودة في بلد آخر ، و في بيئة أخرى .

إن تصور الاسلام للانسان تصور مختلف عن سائر الأديان ، و الفلسفات  
الاجتماعية ، و قد بلغ هذا التصور من التحقيق و التطبيق في التاريخ ، و الحياة  
الاسلامية درجة لم يبلغها تصور رجال الأديان ، و الفلسفات المعاصرة الذين يتشددون  
بحريه الانسان و كرامته ، فتحمل البلاد الاسلامية التي تتوجه إليها ملايين من العمال ،  
و العطاء و الخبراء من الدول الأخرى الذين لم يجدوا البيئة الاسلامية ، ولا فرصة  
لدراسة الاسلام و لتصوره الانساني ، أمانة كبرى ، و مسئولية جسيمة في عرض  
الاسلام علیاً ، وتطرق أحياناً أخبار تفيد باعتناق بعض الخبراء و العاملين للإسلام ،  
و منهم العمال الهنود وقد اعتنق عليه بعض الزعماء ، و العالم يعلم أن البلاد الاسلامية  
لم تتخذ في أي وقت من الاوقات سياسة التبشير التي تسلكها الدول المسيحية  
الاستعمارية ، ولم تتخذ وسائل الاكراه و لا الاغراء ، فإن الذين يعتقدون الاسلام  
يعتقرون عن رضاه عن رضاهم

إن الملايين الذين يعملون في الخارج لا يمكن أن يوضع عليهم حظر ، أو يمنعوا  
من الاتصال بالبيئة الاسلامية ، و حيث إن الحكومة الهندية دولة علمانية فيجب عليها  
أن لا تنظر إلى المسألة بهذه الرؤية ، وقد أعلن بعض الزعماء المعتدلين أنهم لا يعترضون  
على قبول دين إذا لم يكن نتيجة لاكراه ، و قد أعلن الاسلام بصرامة ، لا إكراه  
في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ، فقد استمسك  
بالعروة الوثقى لا انفصام لها و الله سميع عليم ، صدق الله العظيم .

الأستاذ صالح العشماوى

على نفسي و كانت الافتتاحية رمزاً لبراعة قلم كاتبها ، و بلاغته الأدبية ، فقد كانت ترددان به من أناقة اللفظ و رشاقة التعبير ، ولم يكن ذلك أمراً خاصاً بل كان قلم المرحوم يدعي بمثلها ، في موضوعات أخرى أيضاً ، و كلها كانت تدور في مجال اثارة نفس المصرية المسلة لما فيه خير مصر الإسلامية والعرب المسلمين .

و دأبت صحيفة الدعوة سندًا للإسلام والمسلمين وبمعنهاً لمعانى الشوكة الإسلامية و الأمل الوطيد إلى أن دخل في تحريرها المرحوم الشهيد سيد قطب ، وكان معروفاً لدى قرائه بمقالاته المتقدة حرارة و تهاباً في سبيل تحرير مصر من ربقة العبودية للحضارة الغربية و الدبلوماسية الأوروبية للإسلام والمسلمين . و مقالته بعنوان «الرجل الأيض هو العدو رقم ...»، نموذج رائع لأسلوبه الكتابي في هذا المجال .

ثم تولى الشهيد سيد قطب رئاسة صحيفة الأخوان المسلمين التي احتجبت بعد فترة من الزمن لأسباب سياسية قاهرة و بقيت الدعوة تؤدي دورها ، في تنقيف الناشئة المسللة على معانى الفتواة الإسلامية ، وبذلك كان لها سهم كبير في صبغ الصحافة العربية بصبغة الإسلام الموافقة لروح العصر ومتطلبات الوضع السائد في ذلك الحين .  
و كان الأستاذ العشماوى رحمة الله بالإضافة إلى اختصاصه الصحفي ، من كبار قادة جماعة الأخوان المسلمين . كان عضواً في مكتب الإرشاد العام ، و ساعدآ في سواعد رئيس الجماعة الأول الإمام حسن البنا الشهيد ، و بذلك كان له سهم كبير في تأسيس جامع من بين الأسماء التي تداول البحث فيها اختيار المرشد العام الجديد بعد شهادة المرشد العام السابق الأول ، و كان الأخوان المسلمون ينظرون إليه بهذه النظرة إلى أن وقع بعض الاختلاف تحت وطأة الحوادث و انشق رأى الأخوان في شأن عدد من قادتهم ، ولكن الأستاذ المرحوم يقى يؤدى دوره في مجال العمل الأخواني الإسلامي إلى أن وافته المنية في عهد شيخوخته . و لقى ربه ، فاما لله و إنا إليه راجعون ، وإنما نرى في هذا الحادث خسارة للأمة الإسلامية من جهتين ، جهة العمل الصحفى الإسلامي ، و جهة الفكرة الإسلامية .  
و ندعوه الله له بالمغفرة و المثلوبة و لذويه بالصبر و السلوان .

( ١٠٠ ) -

صدر حديثاً :

# المنهج الإسلامي السليم

السيد محمد الحسني

منشئ مجلة «البعث الإسلامي»  
و رئيس تحريرها سابقاً

تقديم

السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوى

دار القلم الكويت

- ١- مركز النشر: دار العلوم ندوة العلماء بادشاهي بلکهتو - ٢- شهرة إعلان
- ٣- الطابع: جليل أحمد - هندي - ٤٩/٢٦٥ ساكن وكتوريه كنج بلکهتو
- ٤- الناشر: جليل أحمد - هندي - ٤٩/٢٦٥ ساكن وكتوريه كنج بلکهتو
- ٥- رئيس التحرير سعيد الأعظمي الندوى و واضح رشيد الندوى
- هندي الجنسية - ٦- ملك : ندوة العلماء بلکهتو
- أنا الموقع أدناه جليل أحمد أصدق أن التفاصيل المذكورة أعلاه صحيحة على حد على
- الناشر : جليل أحمد

**Albaas-el-islam**

NADWAT-UL-ULAMA, LUCKNOW.(INDIA)

# أحاديث صريحة

مع إخواننا العرب المسلمين

أحاديث أخوية صريحة ، وقد مخلص هادف لواقع  
العرب و المسلمين ، و تذكير لهم بمركزهم الدعوي  
القادي ، و واجبهم نحو أنفسهم و العالم المعاصر

## محاضرات

ألقيت في الخليج العربي في مواضع و موضوعات مختلفة

## القامة

ساحة الشيخ  
أبو الحسن علي بن حمزة النزوبي

أمين ندوة العلماء العام  
في لكهتو ( الهند )

## الناشر :

دار عرفات ( للنشر و الترجمة و التوزيع )

دار الشريعة الإسلامية - المفتاح ( المتن )



المكتبة العامة لجامعة العلماء

مكتبة شلبي الزهانى

نحوة العسلاء - كاصبو (الزهانى)

نام مصنف	نام كتاب	عمر
د. سعيد ابراهيم ابراهيم	ابن الامر	٦٣٣٠١
د. سعيد ابراهيم ابراهيم	ابن الامر	٦٥٣٣٠١
د. سعيد ابراهيم ابراهيم	ابن الامر	٦٨٨٣